منشورات لجنة تاريخ الأردن

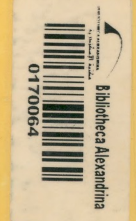
٥

سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة

الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى

من خلال جريدة القبلة

الدكتورة سهيلة الريماوي



منشورات لجنة تاريخ الأردن
سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة
٥

الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى

من خلال جريدة القبلة

الدكتورة سهيلة الريماوي

٦١

٩٥٦,٠٨٥

سهي   سهيلة الريماوي

الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى من

خلال جريدة القبلة/سهيلة الريماوي . - عمان :

لجنة تاريخ الأردن ، ١٩٩٢.

ص (٨٤) (منشورات لجنة تاريخ الأردن ؛ ١٨)

(سلسلة البحوث والدرسات المتخصصة ؛ ٥)

ر. أ (١٩٩٢/١١/٨٠٦)

١ - الثورة العربية الكبرى   ٢ - الحسين بن علي، شريف مكة

أ - العنوان   ب - السلسلة

جـ - السلسلة.

(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

الطابعون

جمعية عمال المطابع التعاونية

هاتف ٢ - ٦٣٧٧٧١ ص . ب ٨٥٧ - فاكس ٦٣٧٧٧٣

عمان - الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

كانت « لجنة تاريخ الأردن» قد أصدرت أربعة كتب في سلسلة «البحوث والدراسات المتخصصة»، وهي:

١ - التجربة الحزبية في الأردن، للدكتور عبد الله نقرش.

٢ - الأردن ومؤتمرات القمة، للدكتور محمد فضة.

٣ - التعاون الأردني الخليجي في ميادين التنمية، للدكتور صالح خصاونة.

٤ - الأوقاف والمساجد وتطور التعليم الديني الاسلامي، للدكتورمحمد راكان الدغمي والدكتور صالح ذياب الهندي.

ويسر اللجنة أن تقدم للقراء الكتاب الخامس في هذه السلسلة عن «الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى من خلال جريدة القبلة» الذي أعدته الدكتورة سهيلة الريماوي (قسم التاريخ - كلية الآداب - الجامعة الأردنية).

وستواصل «لجنة تاريخ الأردن» - بمشيئة الله - اصدار البحوث والدراسات التي تردها عن تاريخ الأردن في مختلف العصور، ضمن السلاسل التي اعتمدتها، فور انجازها.

وتماماً للفائدة، نضع - بعد هذا التقديم - مقدمة الكتاب الأول من سلسلة «البحوث والدراسات المتخصصة».

عمّان في :

جمادى الأولى ١٤١٣هـ

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٢م

مقدمة الكتاب الأول

من سلسلة: « البحوث والدراسات المتخصصة »

«لجنة تاريخ الاردن» لجنة مستقلة، تتخذ مقرها في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة آل البيت) بعمّان، ألفها صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ولي العهد من رؤساء: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة آل البيت)، والجامعة الأردنية، وجامعة اليرموك، وجامعة مؤتة، وجامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، والجمعية العلمية الملكية، بعد أن وجه صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين رسالة الى سموه - في العشرين من شوّال ١٤٠٧هـ الموافق ١٦ حزيران ١٩٨٧م - طلب جلالته فيها أن يتولى سموه تأليف لجنة مستقلة «من المفكرين والمؤرخين المرموقين من الجامعات ومراكز البحث العلمي من الذين يواكبون تطور بلدنا، ويشاركون في مسيرته المباركة، ليقوموا بوضع خطة متكاملة المراحل لكتابة تاريخ الأردن المعاصر، في اطار تاريخ أمته العربية، ونشر بحوث ودراسات ذات مستوى علمي رفيع، ومنهج موضوعي يتوخى الحقيقة وحدها، ولا يقصد إلا وجه الحق، وتستخلص من هذه البحوث والدراسات سلسلة الكتب لمختلف الفئات من الناشئة الى جمهرة المثقفين الى كبار المتخصصين: للتعليم والمطالعة والمراجعة».

وقد وضعت اللجنة خطة متكاملة لحصر المصادر والمراجع والوثائق المتعلقة بتاريخ الأردن، ولانجاز ثلاثة مشروعات - تصدر في ثلاث سلاسل متتابعة - هي:

أ – سلسلة الكتاب الأم.

ب – سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة.

جـ – سلسلة كتب المطالعة.

واستكتبت ما يزيد على مئة وعشرين من الباحثين المتخصصين – من داخل الأردن وخارجه – لاعداد تلك البحوث والدراسات والكتب.

ويسر اللجنة أن تقدم للقراء هذا الكتاب وهو الأول في « سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة»، وستتابع «لجنة تاريخ الأردن» – بمشيئة الله – إصدار البحوث والدراسات المتخصصة، بالتتابع، فور انجازها، لينتفع بها القراء، ويحدوها الأمل في أن تلقى هذه البحوث والدراسات ما تستحقه من عناية، وأن تحقق ما نتطلع إليه من نفع.

الدكتور ناصر الدين الأسد
رئيس لجنة تاريخ الأردن
رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية
(مؤسسة آل البيت)

تمهيـــد

عندما يدعى الكاتب أو المؤرخ للاسهام في اعادة كتابة تاريخ العرب بشكل عام، أو كتابة تاريخ قطر من أقطار الوطن العربي بشكل خاص، يشعر باعتزاز عميق في نفسه، للثقة التي يوليها المسؤولون اليه، وللامانة العلمية التي يلقونها على عاتقه سواء أكانوا يمثلون هيئات شعبية أم لجانا منبثقة عن جامعات أو جمعيات تاريخية أو مؤسسات علمية.

وما أن يبدأ المرء بالكتابة، حتى يشعر بعظم المسؤولية التي هو بصددها، خاصة عندما تتعلق الكتابة بالفكر والاتجاهات الفكرية، التي قدمها أحرار الأمة، في مرحلة حرجة من تاريخها، مثل مرحلة «النهضة» التي أصبحت نبراساً لمسيرة العرب منذ مطلع القرن العشرين واعتبرت بداية لتاريخهم المعاصر.

اذ ان الفلسفة الكامنة في اعادة كتابة تاريخ أمة ما تنبع – عادة – من ضرورة تعريف الناشئة بتاريخ الأمة وتطور مسيرتها، والدور الذي لعبته في مجال الحضارة الانسانية، وعلى الكاتب أن يبين أبعاد هذه الفلسفة بصورة واضحة، تحمي الناشئة من الأخطار السلبية التي تبنتها الكتابات والأفكار المناهضة لتاريخ هذه الأمة وحضارتها وأفكارها سواء كان ذلك عن قصد أم عن سوء فهم.

ان سنة ١٩١٦م، وهي السنة التي تفجرت فيها الثورة العربية الكبرى، تفرض نفسها بصورة موضوعية كنقطة بداية لمرحلة عربية جديدة هي مرحلة التحرر والاستقلال: على ان تواصل الثورة مسيرتها حتى تتحرر البلاد من

السيطرة الدخيلة، ويتمكن العرب من تحقيق هدفهم القومي ، وهو تأسيس دولة عربية موحدة مستقلة استقلالاً تاماً وناجزاً، في المشرق العربي، وعلى أن تواصل الثورة مسيرتها في الوقت ذاته على طريق البناء والتقدم، كفاية وعدلا.

ان هذا المبدأ، الذي طرحته الثورة العربية الكبرى على صفحات جريدة القبلة – جريدة الثورة – ونكاد نلمسه في كل صفحة من صفحاتها وفي مقالاتها الافتتاحية بصورة خاصة، لا بد من طرحه بطريقة ميسرة لابناء هذه الأمة بعامة والناشئة منها بخاصة. وهذا المفهوم الفكري للثورة، الذي يتبلور في الوصول الى اقامة دولة العرب المستقلة، والوصول الى حكم هذه الدولة حكما عربيا مستقلا، يبين أن هدف العرب من الوصول الى السلطة هو أن تصبح السلطة سبيلاً لاحداث تغير جذري،في مجتمع عربي يستطيع أن يعيد بناء نفسه، ويقيم مجتمع الكفاية والعدل، في الدولة العربية الجديدة الموحدة والمستقلة.

ان الثورة العربية لم تطرح نظرية متكاملة، ولكن يصح لمفهومها الفكري أن يرقى الى مستوى النظرية التي نطلق عليها الآن «نظرية الحل القومي – الديمقراطي لبناء التقدم كفاية وعدلا»، ومعنى ذلك ان احرار العرب – بقيادة شريف مكة طيب الله ثراه – قد طرحوا سنة ١٩١٦م برنامجا مدروساً ومتكاملا لتحقيق اهدافهم القومية.

ومن البدهي ان مضمونا تقدميا لهذا المفهوم، يطرحه العرب في مرحلة خطرة، هي مرحلة الحرب العالمية الأولى، لا بد أن يتعرض لضغوط أصحاب المفاهيم والنظريات الأخرى المطروحة آنذاك، وخاصة تلك النظريات الرأسمالية المشبعة بفكرة الاستعمار واستغلال الشعوب، وتقسيم غنائم ما بعد

الحرب العالمية الأولى. وهذا المفهوم القومي الثوري الديمقراطي التقدمي الذي طرحه احرار العرب من خلال جريدة القبلة، كان يكسب الأرض شيئاً فشيئاً في منطقة المشرق العربي، وقد خشيت الدول الاستعمارية أن يمتد الى بلدان المغرب العربي التي تقع، بالمقاييس الاستعمارية، في نطاق العالم الرأسمالي الذي كانت تقوده آنذاك الدولتان العظميان: بريطانيا وفرنسا.

ان لجنة تاريخ الأردن التي أولتني ثقتها وكلفتني الكتابة في هذا الموضوع، جعلتني اتحدى صعوبات قراءة جريدة القبلة، جريدة الثورة العربية الكبرى، على «المايكروفيلم»، وأتحدى ضيق الوقت، لأصل الى أنّه لا بد من دراسة الثورة العربية الكبرى «نهضة العرب» دراسة علمية دقيقة تبين كم انبتت هذه الثورة من الرجال، وكم طرحت من الأفكار، وكم أسهمت في مجال الحضارة الانسانية وتقدمها، وكم صمدت في مواجهة التحديات، وانه لا بد لنا من العودة الى تراث الأمة الذي هو منطلق الثورة لينير أمامنا طريق المستقبل.

الدكتورة سهيلة الريماوي

المنابع الفكرية للثورة العربية الكبرى :

لا بد للباحث في الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى، أن يقف وقفة طويلة أمام الاتجاهات الفكرية عند العرب بشكل عام، والاتجاهات الفكرية عند العرب في القرن التاسع عشر بشكل خاص. إذ إن الحركات الكبرى في التاريخ، سواء كانت حركات فكرية سياسية، أم ثورات عسكرية تحررية، أم تجارب اجتماعية، لا تعيش في عزلة حضارية، وانما هي في الواقع روافد لتيار الانسانية الدافق، تعيش بالانتقال الخصب، وبالتفاعل الخلاق من بلد الى بلد، ومن قوم الى قوم، ومن زمن الى زمن. فخصائص الأمم، ومقومات الشخصية القومية فيها، تفرض خلافا في منهاج كل حركة أو ثورة لحل المشكلات الموجودة في هذه الأمة لصنع مستقبلها، ولذلك لا تخترع عقائدها في مبادئها ومثلها وقيمها، بل تتجول في مصادرها التاريخية والذاتية، من التراث الفكري والمجال الحضاري، وتفتح أبواب التراث حتى تجد نفسها في تراثها وحضارتها، وتضع يدها على المبادىء والقيم الأساسية لهذه الأمة، وعن هذا الطريق يُفرض على الحركة التاريخية الطابع القومي.

وإن سمات العصر الذي تتكون فيه الحركات التاريخية والسياسية، (الثورية منها والاجتماعية)، والظروف المتغيرة التي تسود العالم وتصيب جميع الأمم والأوطان، تفرض هي أيضاً خلافاً أوسع على الحركات والثورات في مناهجها وطرقها، بل وفي عقائدها أحيانا. وإن الاختلاف الذي نراه ونلمسه في النهج والأسلوب، والطريق الذي تسلكه كل حركة أو ثورة أو تجربة اجتماعية – حتى مع افتراض الاتفاق على المفاهيم فيما بينها – إنما مرده الى تغير الأوضاع والظروف العالمية – أي سمات العصر وتطورها – وبالتالي

فإن هذا التغير يفرض على الحركة التاريخية طابع العصر الذي قامت خلاله.

ولئن كانت الثورة العربية الكبرى قد قامت سنة ١٩١٦م، أي في الربع الأول من القرن العشرين، فإن البعد التاريخي من فكر هذه الثورة كان المحصلة الفكرية والثورية لما سبقها من حركات في القرن التاسع عشر، الذي شهد صراعات سياسية واقتصادية وعسكرية وفكرية في الوطن العربي، في مرحلة يُمكن أن نسميها مرحلة (التفتح) الفكري، أو مرحلة النهضة في مجالاتها المختلفة.(١)

الاتجاهات الفكرية في القرن التاسع عشر :

على الرغم من تتابع الأحداث وضخامتها خلال هذا القرن فإنها في جوهرها وأبعادها الفكرية والتطبيقية (الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والسياسية)، تكوّن مرحلة الدخول الى «عصر التكون» الثوري القومي العربي، الذي يبدأ مع مطلع القرن العشرين، وقد استقرت فيه نداءات اللامركزية، والتحرر، والتقدم، والعدالة، ثم الاستقلال، ولم تلبث هذه النداءات أن تبلورت خلال الحرب العالمية الأولى في أهداف الحركة العربية الثورية الشاملة، وتكوين الدولة العربية المستقلة.

ويمكننا أن نجمل سمات القرن التاسع عشر هذه التي أدت الى «تفتح» ثم الى «تكون» الوعي العربي بثلاث حركات تاريخية ضخمة هي:

---

(١) الدكتورة سهيلة الريماوي، مجلة دراسات تاريخية، العددان (٢٣، ٢٤) ايلول–كانون الاول ١٩٨٦، : عبد الرحمن الكواكبي، دراسة في فكره السياسي : ٧-٤٦.

١- حركة الرأسمالية الأوروبية الصاعدة، التي تبلورت بالهجمة الاستعمارية الشرسة على الوطن العربي في مغربه ثم في مشرقه.

٢- وحركة اليقظة العربية الناشئة.

٣- وحركة محاولة إصلاح الدولة العثمانية وتقوية سيطرتها على البلاد العربية.

أما الحركة التاريخية الأولى : فهي حركة نشوء الرأسمالية الأوروبية ونموها وتطورها السريع الى حركة استعمارية تبحث لاهثة عن المواد الخام والأسواق، لتستغل الثروات الطبيعية والبشرية أسوأ استغلال، ثم لتدعم استغلالها هذا وتحميه بالاحتلال العسكري ومن ثم بمحاولة السيطرة الاستعمارية الشاملة على مقدرات الشعوب ومصائرها في العالم بصفة عامة والقارتين الكبيرتين (آسيا وافريقيا)، بصفة خاصة.

وقد تمكن هذا الاستعمار الغازي من أن يتسلل الى أقطار الوطن العربي، ولكنه واجه مقاومة ضارية تتحدى دخوله الى الأرض العربية منذ البداية، فقد قاوم عرب مصر وبلاد الشام الحملة الفرنسية التي جاءت غازية بقيادة نابليون منذ سنة ١٧٩٨م (أي مع مطلع القرن التاسع عشر) كما قاوم عرب الجزائر الاستعمار الفرنسي منذ بدايته سنة ١٨٣٠م، وقاومت عدن بريطانيا منذ أن احتلتها سنة ١٨٣٩م، وكذلك قاوم عرب تونس الاحتلال الفرنسي منذ البداية (١٨٨١م).[(١)]

وانه لجدير بالملاحظة أن الاستعمار الغربي الصاعد إنما تمكن من

(١) للتوسع حول هذا الموضوع يراجع : كتاب الدكتور عبدالكريم غرايبة ، تاريخ العرب الحديث.
وكتاب الدكتور احمد عزت عبدالكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث .

إحراز مواقع له في الوطن العربي -في أكثر الحالات- نتيجة لضعف الدولة العثمانية أو انشغالها عن قضايا هذه الأقطار، فكان الاستعمار البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢م إثر حوادث الحركة العرابية التحررية الثورية، إذ اعتمدت بريطانيا في تغلغلها وتثبيت مخالبها في مصر على «الفرمان» الذي استصدره السلطان العثماني بإعلان الثائر عرابي (من العصاة)، ليقضي بذلك على شعبية الثورة وقائدها، ويبرر التدخل الاستعماري البريطاني في شؤون البلاد باسم حماية عرش الدولة العلية والمدافعة عن أملاكها .

ومع بدايات العقد الثاني للقرن العشرين، سقطت بلاد مراكش (المغرب العربي) تحت مخالب الاستعمار الفرنسي، وسقطت طرابلس الغرب وبنغازي (ليبيا) تحت براثن الاستعمار الإيطالي، ومع نهاية سنة ١٩١٢م كان الشمال العربي الإفريقي برمته تحت سيطرة الاستعمار الأوروبي.

أما الحركة التاريخية الثانية: فهي حركة اليقظة العربية التي بدأت تتحدى سيطرة الامبراطورية العثمانية، من خلال تيارات سياسية متنوعة، تطالب تارة بتوسيع المأذونية أو اللامركزية الإدارية، وتسعى تارة أخرى للاستقلال عن الباب العالي، وإن أبقى بعضها على خيطٍ رفيع من التبعية الشكلية للخليفة العثماني (مثل حركة محمد علي باشا في مصر). كما ظهرت تيارات تطالب بالإصلاح الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والدستوري الذي تبلور في وضع نظام إداري خاص للبنان سنة ١٨٦١م فمنحه كثيرا من الامتيازات، وتيارات تمثل إنكار حق السلطان العثماني في الخلافة الإسلامية وإمارة المؤمنين، كالتيار الذي قام في اليمن، وقد أنكر الأئمة الزيديون على آل عثمان التلقب بلقب أمير المؤمنين، وتمادوا في تحديهم بأن أطلقوا على أئمتهم هذا اللقب، إيمانا منهم بأن الخلافة لقرشي عامة، ولزيدي خاصة، علما أن اليمن لم تخضع للدولة العثمانية الا فترات زمنية متقطعة.

هذا بالاضافة الى ظهور الحركة الوهابية في نجد، التي كانت أشد هذه التيارات وأعنفها لأنها حركة دينية تستند الى (الوحدانية) وتنقية (العقيدة الإسلامية من الشوائب)، وهي في الوقت نفسه حركة سياسية تتحدى السلطان العثماني وخلافة آل عثمان.

أما الحركة التاريخية الثالثة:(١) فهي محاولة إصلاح الدولة العثمانية، حيث بدأ سلاطنة آل عثمان مع مطلع القرن التاسع عشر يخشون النتائج السياسية التي قد تنشأ عن الحركتين المذكورتين، وعلى الأخص في الوطن العربي الذي تعرض للغزو الفرنسي، فبدأوا بسلسلة من الاجراءات الهادفة الى مقاومة تلك النتائج المحتملة، عن طريق تثبيت سيطرة الدولة العثمانية على البلاد العربية من جهة، وإصلاح أحوال الامبراطورية من جهة أخرى.

فقد خشي السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م) النتائج السياسية التي قد تنشأ عن الحركة الوهابية (حركة الإصلاح الروحي القائمة على فكرة التوحيد) وخشي من النتائج السياسية التي تنبع من حركة الإصلاح العلمية والعسكرية والاقتصادية التي قام بها محمد علي في مصر مدعما إياها بإرسال البعثات وتنظيم أمر مصر على طراز البلاد الاوروبية، ثم محاربته للدولة، حتى وصل «كوثاهيه» قرب العاصمة استانبول، فشدد السلطان سيطرته المركزية وقلص عدد الإيالات، ثم جاء ابنه السلطان عبد المجيد ليبدأ عهد الفرمانات العثمانية (خط شريف كلخانة سنة ١٨٣٩م،

(١) حول الحركات التاريخية راجع :

– الدكتورة سهيلة الريماوي، جمعية العربية الفتاة السرية، دراسة وثائقية

– الدكتور علي محافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة

وخط شريف همايون التنظيمات الخيرية سنة ١٨٥٦م)، فتنبهت هذه الخطوط الهمايونية الى ضرورة معاملة جميع أتباع الدولة معاملة متساوية، وتنبهت الى التفاوت بين المسلمين وغير المسلمين من أبناء الامبراطورية، وقد حاولت تدارك هذا الأمر ولكنها لم تنتبه إطلاقاً الى أن رياح التيارات الفكرية القومية الوحدوية والدستورية التي اجتاحت أوروبا متوجهة الى الشرق قد بدأت تحرك الشعور القومي عند أبناء القوميات المتعددة في الامبراطورية، فلم تعتن تلك التنظيمات بتململ هذه القوميات، ولم تتضمن أي تلميح عن إعطاء حقوق قومية للأمم التي تتكون منها الامبراطورية، وعندما قاد الأحرار العثمانيون حركة المطالبة بالدستور انتصر هؤلاء وتمكنوا من عزل السلطان عبد العزيز عن العرش ومبايعة السلطان عبد الحميد، واعلان دستور سنة ١٨٧٦م، غير أن الموقف انفجر من جديد عندما علق السلطان الحياة الدستورية وأصبح الخط الواضح لسياسة الدولة العثمانية هو تشديد الحكم المركزي، وتسخير ما تم من إصلاحات في هذه الفترة لتدعيم هذه السياسة المركزية.

لقد أدرك السلطان عبد الحميد أن التطورات المحلية في الوطن العربي كانت تسير في اتجاه مناقض لمركزية الدولة العثمانية وإصلاحاتها التي تمت لتدعيم هذه السياسة، وأحس أن رياح التمرد ضد التسلط والاستبداد والتخلف قد بدأت تهب على الأمة العربية، وفي أرجاء وطنها كله.(١)

---

(١) حول إصلاحات الدولة العثمانية راجع :

الدكتور عبد الكريم غرايبة، تاريخ العرب الحديث.

والدكتور عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون.

والدكتور بديع الشريف ورفاقه : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة .

وهكذا يظهر لنا أن القرن التاسع عشر كان مشحونا بالاحداث الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والسياسية، وبالغليان الفكري الذي يواكب الأحداث وينبع منها، ثم يحاول تقييمها وتوجيهها. فهو عصر تفتح ويقظة، وعصر تساؤل وتحرك ، لذلك فإن الاتجاهات الفكرية في هذا العصر، السياسية منها خاصة، تمثل في جميع أبعادها تفاعل هذه الحركات التاريخية المشار اليها . وقد كانت هذه الحركات تتفاعل في أرجاء الوطن العربي تفاعلا مستمرا، وإذا كان تأثير إحداها عليه في بعض أجزاء الوطن أكثر من تأثير الأخرى، فهو بالنتيجة والمحصلة ثمرة هذا التفاعل والتجسيم النظري لحقائقه الموضوعية .

وليس غريبا أن نجد انعكاس هذا التفاعل والتضاد والصراع يأخذ طريقه الى التيارات الفكرية العربية، والى أفكار الرواد من المفكرين الذين ظهروا في الوطن العربي بصورة متطورة متجددة خلال هذا القرن، فقد ظهر عدد كبير من المفكرين العرب الرواد الذين كان لأفكارهم ودعواتهم أثر كبير في الحركة العربية، فمنهم من اقتصر على طرح الأفكار التي أسهمت في نضوج الوعي السياسي ، ومنهم من تخطى العموميات الى الخصوصيات مطالبا بمقاومة الاستبداد ومصارعة الاستعباد .

واذا كانت قائمة هؤلاء المفكرين الرواد الذين ظهروا في ربوع الوطن العربي خلال القرن التاسع عشر، قائمة طويلة، فمما لا شك فيه أن المفكرين الرواد من بلاد الشام والجزيرة العربية والعراق يكونون نسبة ملحوظة من أسماء هذه القائمة(١).

(١) من هؤلاء الرواد: عبد الرحمن الكواكبي، ورشيد رضا، ومحب الدين الخطيب في بلاد الشام ورفاعة الطهطاوي ومحمد عبده في مصر، وخير الدين التونسي في تونس والالوسيان في العراق وظهور الحركات الفكرية السلفية، (الوهابية والسنوسية والمهدية والشوكانية) هذا بالاضافة الى المفكر الاسلامي جمال الدين الافغاني . وللتوسع راجع مجلة دراسات تاريخية، الدكتورة سهيلة الريماوي، عبد الرحمن الكواكبي، دراسة في فكره السياسي، والدكتور علي محافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب.

وقد ظهر عدد من المفكرين العرب الذين مثلوا تيارات مختلفة من الصعب تصنيفها تصنيفاً دقيقا ، وكانت هذه التيارات الفكرية تنطلق من قاعدة دينية تكشف عن أثر عامل اليقظة الأصيل الذي يتجه للتراث بحثا عن أسس الإصلاح في أكثر الأحيان، وأسس الثورة في بعض الأحيان، فيحاول أن يجد في هذا التراث مضامين الحياة السليمة ودوافع التمرد والثورة على ما هو قائم طلبا لما يجب أن يقوم، ويكشف في الوقت نفسه عن أثر التأثر بعوامل نهضة الغرب وقوته، ومواجهة هذه النهضة والقوة التي يستند اليها الغرب المستعمر في محاولته السيطرة على الأمة العربية ومصيرها [1] .

وفي ظل هذه الأوضاع، وما ولدته من أفكار جديدة وما أتاحته من وسائل لانتشار هذه الأفكار، توصل الاتحاديون الى الحكم في سنة ١٩٠٨م، فحكموا حكما استبداديا مقنعا بالدستور، إذ إن المادة الرابعة من الدستور (قيدت القوميات الأخرى) ومنعت تسمية الجمعيات والصحف والنوادي بأسماء قومية [2] فتشكلت الجمعيات بشكل سري وأصبح اسم النادي العربي المنتدى الأدبي، وهكذا فعلت القوميات الأخرى.

وقد كان المفكرون العرب ينادون بإصلاح الدولة حفاظا على الإسلام الذي يربطهم بالامبراطورية العثمانية، وطغى هذا الاتجاه الفكري الإصلاحي خلال القرن التاسع عشر، لأن رجال الدولة لم يكونوا يجاهرون بأن هناك أمة حاكمة وأمة محكومة، بل كانت الأخوة الاسلامية والرابطة العثمانية جامعة بين العرب والترك، فلم يشأ العرب في وقت من الأوقات أن يفصلوها [3].

---

(١) محب الدين الخطيب ، الجيل الذي عاصر بعث العروبة .

(٢) خصصت الجلسة المنعقدة بتاريخ ١٩٠٩/٧/٧ لمناقشة المادة الرابعة، وقد ناقشها عدد من مبعوثي القوميات غير التركية مثل الأرمن والاغريق والعرب، وبرهن الجميع على تمسكهم بجنسيتهم، وعندما عرضت للتصويت فازت بالأكثرية . راجع جريدة المؤيد ١٩٠٩/٨/٢ القاهرة .

(٣) القبلة العدد ٣٢ : ٢.

غير أن الوضع القائم في الامبراطورية منذ الانقلاب الاتحـادي سنة ١٩٠٨م، بلغ حدا من السوء لا يمكن معه إصلاحه، دون تبديل جميع مكوناته الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، واقتضت فكرة التبديل، أو فكرة تغيير كل ما في الواقع من سلبيات، عقد مؤتمر عربي في بادىء الأمر، دعت إليه الجمعيات العربية الكبرى في ذلك الوقت مثل جمعية العربية الفتاة السرية، وحزب اللامركزية الإدارية العثماني العلني، للتوصل الى بدائل إيجابية تؤدي الى التفاهم وإنصاف العرب، غير أن مماطلة الاتحاديين لقرارات المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس سنة ١٩١٣م ومطالبه، مع أنها مطالب تتركز في تطبيق اللامركزية وتعليم اللغة العربية الى جانب اللغة التركية، وغيرها من الأمور التي تنصف العرب الى جانب الترك – هذه المماطلة التي تلاها دخول الامبراطورية في أتون الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م – أدت الى اتخاذ القرار الحاسم بأن واقع الامبراطورية لا بد من تغييره .

سمات واقع الامبراطورية العثمانية :

هناك لهذا الواقع عدة سمات نذكر منها :

١– انتشار عوامل الضعف وفي مقدمتها: «الجوع والفقر المدقع الذي يأكل المهج ويمتص الدماء بينما رجال الآستانة يمرحون».(١)

هذا إضافة الى الجهل والمرض والسخرة وكثرة الضرائب، حتى الحُجاج كانت تعاملهم الدولـة « وفق مصالحهـا الخصوصيـة ومنافعها الذاتية كإثقال كاهلهم بالضرائب الفادحة».(٢)

---

(١) القبلة العدد ٢٦:١ .

(٢) القبلة العدد ١٥ : ١.

٢- الحروب التي أدت إلى ضياع الدولة: «إن الفئة الاتحادية التي سلبت الحكم في البلاد العثمانية، أضاعت في مدة لا تتجاوز ثماني سنوات نحو ثلث الدولة وحمّلت الثلثين الباقيين من الديون الباهظة ما تنوء به خزائن قارون، وسفكت من الدماء الطاهرة البريئة ما جرى كالسيل»[١] وفي هذا إشارة الى ضياع البلقان وطرابلس الغرب (ليبيا).

٣- خطة الاتحاديين العقيمة نحو العروبة والإسلام فقد : «افتتحوا عصر دستورهم شر فاتحة» إذ طالبوا رسميا مجلس «المبعوثان» بـ «جعل دولة الخلافة بلا دين» [٢] بل قد تجاهل الاتحاديون شأن الإسلام إذ «يرون فيه وسيلة من وسائل تقهقرهم وضعف حالهم»[٣]، وهكذا أخذ الاتحاديون بمحاربة الإسلام في مفاهيمه وفي نصوصه «لدرجة أنهم أخذوا يرون في التراث الإسلامي السابق لهم مجموعةً من الأفكار العتيقة التي لا تصلح لهذا الزمان»[٤]. وقد طرح النواب العرب في «مجلس المبعوثان» عدة قضايا عربية منها : قضية شراء الأراضي في فلسطين من قبل الاتحاديين وتقديمها للصهاينة، وقضية ثورة اليمن، وقضية ضياع طرابلس الغرب، وبينوا موقف الحكومة السلبي تجاه هذه القضايا[٥].

---

(١) القبلة العدد ١٦ : ٢.

(٢) ، (٣) القبلة العدد ١٥ : ٤

(٤) القبلة العدد ٣ : ٢

(٥) راجع أعداد جريدة الأهرام، والمؤيد والمفيد والمقتبس الصادرة خلال عام ١٩١١. محاضر الجلسات.

٤- حركة التتريك التي تمثلت في محاولة القضاء على اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، ومنع التدريس بهذه اللغة في المدارس، التي هي : «أجزل اللغات السامية، وأوسعها مجالا، وأحكمها استعمالا»(١) وقد خشي الاتحاديون من جميع القوميات، ولكنهم أدركوا أن اللغة العربية هي «لسان الإسلام» ولغة القرآن الكريم، فقاوموا اللغة العربية والقومية العربية بآن واحد، كما ركزوا على محاولة إحياء القومية التركية، فاخترع كتابهم وشعراؤهم وموظفوهم أناشيد يذكرون بها طوران الجميلة وأبطالهاالقدماء(٢).

٥ - دخول الدولة العثمانية الحرب الى جانب الألمان، بعد أن ناشدها أحرار العرب عدم زج الامبراطورية في أتون هذه الحرب المدمرة، غير أن الحكومة الألمانيةكانت قد مهدت بالأموال الطائلة التي أنفقتها على المشروعات العثمانية الخطيرة فاشترك البنك الألماني بتمويل سكة حديد بغداد(٣) وغيرها، وهكذا تحقق العرب بعدما «لمسوا بأيديهم ورأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم ما حقق لهم، أن الدولة العثمانية ليست الا ولاية ألمانية»(٤).

---

(١) القبلة العدد ١٤ : ١.

(٢) القبلة العدد ١٢ : ١.

و«طوران» أو «ثوران» تعني بلاد الاتراك الاصلية التي تقع وراء بحر الخزر، ويذكر أحمد عزت الأعظمي في كتابه القضية العربية : ٩٩/١ وما بعدها ، نشيدا تركيا جاء في إحدى فقراته : وانت يا ملكة ثوران الجميلة المحبوبة، أرشدينا الى الطريق المؤدية اليك لان «اوغوزا» جدنا الكبير ينادينا ... الخ .

(٣) القبلة العدد ١٧ : ١.

(٤) القبلة العدد ٢.

وعلى ضوء هذا الواقع المرير، تأكد العرب أن الثورة هي الطريق الوحيد الذي يستطيع الانسان العربي أن يعبر عليه من الماضي الى المستقبل، وأن الطريق الثوري هو الجسر الوحيد الذي تتمكن به الأمة العربية من الانتقال من ما كانت عليه إلى ما تتطلع اليه. وقد توجه أحرار العرب بأنظارهم نحو الحجاز: «لأن أهله هم أهل الحل والعقد في مثل هذه الأمور»[1]، ولأنه يتمتع بنوع خاص من الاستقلال الإداري، فبايع أحرار العرب شريف مكة ليقود حركة التغيير هذه (بالثورة) ويقودهم الى النصر (بإرادة الثوار)، واستجاب شريف مكة الذي «غضب لدينه الذي عبث به الاتحاديون، ولقومه الذين أهانهم القائمون وطهر الاسلام من رجس اولئك الزنادقة، وجمع شملهم الذي فرقوه، وأعز ذلك الشرع الذي أهانوه»[2].

وهكذا توافرت الظروف الموضوعية لقيام ثورة عربية بعد تاريخ طويل من المعاناة، فقامت الثورة المباركة بتاريخ ٩ شعبان سنة ١٣٣٤هـ الموافق ١٠ حزيران ١٩١٦م، وأعلن صراحة أن العرب «لا يقاتلون الترك ولا غيرهم من الملل العثمانية وانما يحاربون حزبا طاغيا ضرب الله على سمعه وختم على قلبه فهو خليط من الجهالات»[3].

منطلقات الثورة العربية الكبرى:

كانت الثورة العربية أول ثورة تتصدى للأوضاع القائمة في الدولة العثمانية بالتحليل والدراسة الجادة من أجل تحقيق المنطلقات العقائدية التي قامت من أجلها، وتجمل في المنطلقين الأساسيين:

---

(١) القبلة العدد ٢ .

(٢) القبلة العدد ١ : ٢١ .

(٢) القبلة العدد ١٣ : ١ .

١- حفظ كرامة العروبة.

٢- والعودة الى الاسلام الصحيح. [١]

وكان لا بد من حمل السلاح لتحقيق هدف إرادة الثورة والثوار الذي تبلور في تأسيس دولة عربية مشرقية مستقلة استقلالا تاما عن الأتراك، و لا بد من تحقيق هذه الدولة بالوسائل العسكرية والسياسية والفكرية كافة.

ففي الساعة التاسعة والدقيقة ١٢ من ليلة السبت الموافق ٩ شعبان ابتدأ إطلاق النار بشدة على الثكنات العسكرية، وبقي الفريقان يتبادلان الرصاص «وقلعة جياد التركية» تقذف بالقنابل حتى الساعة الثانية صباحاً[٢].

فكانت ثورة العرب الكبرى ، ثورة موحدة وشاملة ، أعلنت في مكان واحد من الوطن العربي هو «الحجاز» ، بقيادة زعيم عربي إسلامي واحد هو «شريف مكة»

وبهذه الوحدة قضت الثورة على التعددية: تعدد الثورات في أنحاء الوطن العربي، وتعدد الزعامات الأسرية والعصبية والحزبية التي ظهرت بعد انقلاب سنة ١٩٠٨م، وعلى التعددية الطائفية والطبقية والاقليمية. وقضت الثورة على منطق التعدد بشكل عام، وبذلك نجحت في سد الطرق التي تفتحها «دعوات التعدد» التي تقف سدا منيعا أمام الثورة الواحدة والقيادة الموحدة.

---

(١) لقد أكدت قرارات المؤتمر السوري سنة ١٩٢٠م - عهد فيصل- هذين المنطلقين، كما أكدهما الدستور الاردني لسنة ١٩٥٢م من خلال مادتيه الأولى والثانية.

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع جريدة القبلة ، العدد الاول .

وهذه الشمولية التي حققتها ثورة التاسع من شعبان بقيادة شريف مكة الحسين بن علي (الفاروق الثاني)* أكدت مدى قومية الثورة: قومية الهدف، وقومية الهوية، وقومية الجيش، وقومية القيادة، وأكدت مدى دفاعها عن الاسلام والمسلمين، إذ :« بنهوض العرب انما تخدم المسلمين في أنحاء الأرض».

واتخذت الثورة رايتها من التراث العربي الاسلامي فالأبيض لون الأمويين، والأسود لون العباسيين، والأخضر لون الفاطميين، والأحمر العنابي الذي يحتضن هذه الألوان على شكل مثلث هو لون الهاشميين.(١)

مصادرنا في استقراء الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى :

إن مصادرنا في استقراء الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى، متعددة ومتناثرة في الآثار الكتابية التي خلفتها لنا الثورة، من إعلام عربي، وأدبيات شعرية ونثرية، ومناشير سياسية، تنطوي على فعاليات رجال الثورة والقائمين عليها ونشاطاتهم ومسالكهم .(٢)

ولعل ميدان الصحافة والإعلام الذي اختارته الثورة العربية الكبرى

---

* أطلق على شريف مكة لقب الفاروق الثاني، جريدة القبلة العدد ٢٤ :١.

(١) إن ألوان رايات الأقطار العربية في المشرق العربي – بلاد الشام والعراق –لا تخرج عن نطاق هذه الألوان وان اختلفت في أوضاعها.

(٢) إن هذا البحث لا يركز على الاتجاه الفكري لكل فرد على حدة، بل هو بحث شامل يبحث في الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى كفكر متكامل، وهذا التزام موضوعي لما جاء في جريدة القبلة، ونابع من وحدة الثورة ووحدة القيادة المسؤولة عن مسارها، وقد توصلت بالتحليل العلمي المجرد الى الاتجاهات الفكرية المتعددة – سياسية واقتصادية وثقافية ونضالية– وإن كان التركيز على الفكر السياسي، جاء بشكل طبيعي، ليضم بين جوانبه الاتجاهات الفكرية الاخرى، وقيام الدولة ... الخ.

ميدانا علنيا للتعبير عن اتجاهاتها الفكرية عامة، كحركة جديدة تجسم مسار النهضة العربية الحديثة، هو أوسع هذه المصادر، فكانت جريدة القبلة التي تعد بمثابة الجريدة الرسمية الناطقة باسم الثورة العربية الكبرى، هي أوسع الوسائل الاعلامية التي نقلت الينا الاتجاهات الفكرية لنهضة العرب في الربع الاول من القرن العشرين، إذ دعت الى الحوار السياسي البناء، والى طرح الموضوعات المتعلقة بشؤون هذه الفترة ومناقشتها. وقد صدرت القبلة في مكة المكرمة بتاريخ ١٥/شوال/١٣٣٤هـ الموافق ١٥ آب ١٩١٦م بوصفها جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر لخدمة الإسلام والعروبة، كما روّست صفحتها الأولى بالآية الكريمة ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾[1] واكتفت الثورة بإصدار الجريدة مرتين في الأسبوع: يومي الاثنين والخميس.

وعلى الرغم من أن جريدة القبلة لم توضح في افتتاحية العدد الأول منها النهج الذي ستسير عليه إلا أنها أوضحت أنها ستجند صفحاتها لشرح قضية العرب وخدمة قضايا المسلمين.

أما عدد صفحات القبلة فكان أربع صفحات، كتبت بأسلوب عربي مبين يدل على سلامة النهج وفصاحة اللسان العربي، وابتعدت القبلة عن الكتابة بالعامية، فاتسمت بالأسلوب الأدبي الراقي، وبساطة المظهر وبحث الموضوعات المهمة، فأكسبها ذلك حب الجماهير والانتشار الواسع في أنحاء الوطن العربي والمهجر[2].

---

(١) البقرة: ١٤٣ .

(٢) أصدرت القبلة ٨٢٣ عددا وبقيت تصدر حتى تاريخ ١٩٢٤/٩/٢٥م.

وأظهرت القبلة على صفحاتها الاتجاهات الفكرية التي طرحتها الثورة العربية الكبرى، وهي اتجاهات تعبر بالدرجة الاولى عن موقف الثورة من المسائل الرئيسية التي تكون المنطلقات العقائدية السياسية والاقتصادية والاجتماعية للأمة العربية في ذلك الوقت، وقد ركزت على الأفكار العقائدية السياسية بشكل واضح.

الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى :

تطرح الثورة اتجاهاتها الفكرية في كل عدد من أعداد جريدة القبلة، ولعل مقالات «الافتتاحية» أبرز ما يحدد الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى في جريدة القبلة، وقد كُتبت بأقلام عدد من المفكرين العرب[1] ، ويمكن أن نوجز هذه الاتجاهات على الشكل التالي :

أولا – الثورة ثورة إسلامية : تسعى لنصرة الإسلام وتحسين حال المسلمين .

ثانيا – الثورة ثورة قومية : تسعى لتحقيق العدالة لأبناء القوميات بعامة والعرب بخاصة، والنهوض بالأمة العربية الى مصاف الأمم الحية، كي تمتلك حقوقها القومية، التي هي حقوق طبيعية للأمة يمكن إجمالها في أن تكون لها دولتها الحرة المستقلة.

ثالثا – الثورة ثورة توفيقية : بمعنى أنها لا ترى تضاربا بين العروبة والإسلام، وأنها في اتجاهاتها للنهوض بالعرب إنما تخدم الإسلام عامة.

---

(١) أشير الى أنني أرفقت صورة العدد الخامس من الجريدة مع البحث لمزيد من التوثيق. وتوجد أعداد (القبلة) في مكتبة الجامعة الأردنية ومركز الوثائق والمخطوطات مصورة على «مايكروفيلم» .

أولا - الاتجاه الإسلامي في فكر الثورة :

«الدائرة الاسلامية» :

أظهرت المقالات المتعددة ، والأدبيات المنشورة في جريدة القبلة على مدار أعدادها، وضوحا فكريا للاتجاه الديني، يبرز من خلاله أن الثورة ثورة إسلامية، مؤمنة، قامت غيرة على الدين، ومن أجل إصلاحه والعودة به الى الإيمان الصافي والواعي، ولذلك تؤكد الثورة النقاط الاتية:

رفض استغلال الدين :

إذ يستنكر الاتجاه الفكري الإسلامي للثورة العربية الكبرى ما قام به الاتحاديون «الذين عملوا جاهدين على تغيير الدين الإسلامي» وتدعم الثورة هذا المفهوم تدعيما بينا عندما تدلنا على محاولة الاتحاديين تغيير الدين من خلال ممارستهم وغاياتهم التي يوجد لدينا مثال عليها في كتابهم (القوم الجديد) الذي صدر في استانبول سنة ١٣٣١هـ ، ويتحدث أصحابه عن مرتكزات جديدة للدين الإسلامي، تُستغل في مصالحهم العنصرية والسياسية، وتتدخل في أركان الإسلام الخمسة التي حولها (القوم الجديد) من الصلاة والصوم والزكاة والحج والشهادة الى أركان أخرى استخرجوها على الشكل التالي : الفعل، والأخلاق الحسنة، والجهاد بالحرب والمال والبدن، والاتحاد والاتفاق تحت لواء السلطة التركية العظيمة لتحصيل لوازم الحرب، وكلمة الشهادة [1].

فإذا كان الاتحاديون قد تجرأوا على تغيير أركان الإسلام وأنكروا التوحيد كجوهر للدين - لأن فكرة التوحيد تتركز أساسا في رفض الخضوع

---

(١) القبلة ، العدد ٣ : ١ .

الا لله، كما أنها تؤكد تساوي الناس أمام الله عز وجل - كان لا بد للثورة من رفض كل اتجاه يحاول أن يجعل من الدين ركيزة أو أساسا للحكم الفاسد أو استغلال الانسان وإن : «سكوت المسلمين عن أعمال هؤلاء القوم هو الذي جعلهم يتمادون في الجرأة على الاسلام الى حد أنهم يغيرون أركانه التي سار عليها المسلمون منذ أربعة عشر قرناً» [١] .

فكان لا بد من الثورة على هذه الطوارىء التي طرأت على الدين، ومن الثورة على هذا الاسلام الرسمي (للحكومة) لأنه إسلام آخر، ودين آخر يختلف عن الدين الذي يتميز به أسلافنا، كما تمادى الاتحاديون في التجني على التراث الاسلامي وأمهات الكتب الاسلامية من خلال الحلقات الدراسية التي يقوم بها الشيخ عبيد الله في جامع أيا صوفيا، كقوله مثلا : إن كتب علماء المسلمين «اسلافنا العظام» إنما هي كتب عتيقة لا تصلح لهذا الزمان، وان ما فيها من حقائق الشرع الشريف - التي هي في نظرهم عقائد (القوم العتيق) - ليس مما ينبغي للاتحاديين وهم (القوم الجديد) أن يتقيدوا به[٢]، فالاتحاديون لا يذكرون الدين ، ولا يعرفون الاسلام الا بقدر ما يمكنهم استغلاله لمآربهم الخاصة ، فهم : « لا يعرفون الاسلام ولا يذكرون الدين الا عند جمع التبرعات وابتزاز أموال الناس »[٣] .

---

(١) القبلة، العدد : ٣ : ٢ راجع النص بكامله في هذا العدد حول شعبة دروس الشيخ عبيد الله في جامع أيا صوفيا باسم (قوم جديد) وقد صدر كتاب «قوم جديد» في استانبول، وكان نشر قسم كبير منه في جريدة القبلة، في أعدادها الاولى، وأكثر محتويات هذا الكتاب عبارة عن دروس ألقاها الشيخ عبيد الله إمام جامع أيا صوفيا باستانبول.

(٢) القبلة، العدد ٣ : ١.

(٣) القبلة، العدد ١ : ٢ .

وكان لابد من أن نسألهم «أين الخلافة وأين شروطها، فالكتب الشرعية موجودة بين أيدي المسلمين، وقد استفاضت كتب المذاهب الفقهية في مبحث الخلافة وشروطها والإمامة وأحكامها ، ولم يجرؤ أحد على تحويل أركان الدين، أو يشذ أحد علماء الإسلام الأولين أو فقهائه عن تعاليم الدين الحنيف»[1] .

وقد استغل الاتحاديون خطبة الجمعة لإحياء أسماء عظماء الترك ، وطالبوا بالدعوة لهم على المنابر، فقال رجل الدين الاتحادي، عبيد الله، خطيب جامع أيا صوفيا : «يا لها من جهالة، إنكم أيها الاتراك تعلقون في جوامعكم اسماء خلفاء العرب، أي: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، بدلا من أسماء أسلافكم؟» وتشير جريدة القبلة الى أن الخطيب كان ينزل درجة من درجات المنبر عندما يذكر اسم الخليفة.[2]

وقد رفضت الثورة العربية الكبرى كل هذه المظاهر لاستغلال الدين الحنيف، ورفضت جعله دينا خاصا بقوم دون قوم، ورفضت تطوير الدين بحيث يناسب زمن«القوم الجديد» الذي يختلف – حسب رأيهم – عن زمن «القوم العتيق»، وصممت الثورة على أن تعيد للدين رونقه، وتخلصه من مثل هذه الشوائب والاستغلالات العنصرية.

التقدم والإسلام صنوان لا يفترقان:

تسجل الثورة بوضوح وصراحة موقفا فكريا إسلاميا ملخصه أن التقـدم

---

(١) القبلة ، العدد ١٧ : ٢ .

(٢) القبلة ، العدد ٤ : ٢-٣ .

والرقي من ناحية والاسلام من ناحية اخرى صنوان لا يفترقان، وتقف في مواجهة الاتحاديين وما يمثله هؤلاء من أفكار تحاول النيل من الاسلام، بحجة ما يسمى بالمدنيّة والتقدم، ولذلك كان لا بد للثورة من أن تُعرّي هؤلاء الناس، ليعرف كل من يقرأ العربية أنهم يتزيّون بغير زيّهم، ويدّعون الاسلام وهم يسعون للقضاء عليه، وأن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي هم أولئك المغرورون الطائشون الذين يظهرون أن الترقي والحضارة لا يكونان الا بإضعاف الدين وترك شعائره، لذلك رأينا أن همتهم منصرفة الى هذه الجهة[1].

وقد نجحت الثورة في طرح هذا المفهوم، فالإسلام لم يتناقض ابدا، وعلى مر العصور مع التقدم والترقي، ويمكننا القول ان العالم قد أقر هذه الحقيقة بعد أن أخذ بالنظر الى الإسلام والمسلمين نظرة موضوعية، وأصبح محمد صلى الله عليه وسلم، في نظر العديد من المفكرين العالميين، من أكبر أصحاب حركات التغيير العالمية تجاه التقدم والرقي، وإنه بذلك سبق جميع الافكار الغربية الرأسمالية والاشتراكية في ضرورة تقدم الإنسان ورقيه، وانشاء حضارة المجتمع الاسلامي، التي تصلْ به الى أسمى ما يمكن أن يصل اليه البشر.

وتجدر الإشارة الى أن أهم أسباب التقدم في شتى المجالات هو ازدهار العلم والتعليم، فالعلم والتعليم في الاسلام من الفرائض الأساسية ، وتدبرالكون يهدي القلوب الى خالقها، وكل هذا يؤدي الى نمو المعرفة والاكتشاف، وهذا مما يدفع عجلة التقدم الى الأمام.

---

(١) القبلة ، العدد ١ .

(٢) القبلة ، العدد ٢ .

وتأخذ الثورة بالإشارة الى أن هذا الغضب على الاتحاديين وموقفهم من الدين لم يكن محصورا في فئات المثقفين، وانما كان شعورا عاما يمسّ مشاعر جميع المسلمين الغيورين على الدين، والذين يرون أن لا صلاح لهم بغير صلاحه، وكانوا ينتظرون تحرك أولي الأمر منهم وهم في رأي مفكري الثورة الذين كانت أنظارهم متجهة الى الحجاز، لأنهم أهل الحرم، وأهل الحل والعقد في مثل هذه الامور.

وغني عن البيان أن هذه الثورة لم تكن بهدف قتال العثمانيين (الأتراك) وانما كانت – كما أكدت مقالاتها في جريدة القبلة – «لمحاربة«حزب طاغ» ضرب الله على سمعه وختم على قلبه، فهو خليط من الجهالات وراكب عشوَات، ومن ذا الذي يجادلهم في مقاتلة الشر ومحاربة الفساد»(١) ، لقد قبل العرب وغيرهم من الأمم الاسلامية، واستقبلوا بالترحاب، رجال الدولة العثمانية لتخليصهم من جور المماليك وظلمهم، وقبلوا انتقال الخلافة لأول مرة من العرب الى غيرهم، أملا في أن يكون للانضواء تحت لواء الدولة العثمانية أثره في استمرار نهضة الاسلام وقوته، وإن الأمم التي أسلمت قيادتها للحكومة العثمانية في الزمن الماضي إنما كان ذلك برضائها واختيارها لوحدة الدين أو كان بعامل الجوار وحياة الإنصاف، يوم كانت مقاليدها في يد رجال يقيمون ميزان العدل والحق ويسعون لتقدم البلاد ورقيها(٢).

---

(١) القبلة ، العدد ١٣ : ١ .

(٢) القبلة ، العدد ١٥ : ٤ .

وقد اضطرت الامة العربية – عندما أصبح الحكم في يد جماعات طائشة – الى أن تقوم ضد هذه الشرذمة، وترفض أن يبقى أمرها في «يد لوثت الارض بقذارتها، وكلمت القلوب بجرائمها وفظائعها»[1] لتعيد في البلاد حضارة الأمويين والعباسيين وأمثالهم.

وعلى الرغم من هذا الوضوح الذي أشرنا اليه في البعد الفكري الإسلامي للثورة فان ذلك لم يمنع مسلمي القوميات الأخرى وبعض مسلمي العرب في الشمال الإفريقي في «الدول التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار الغربي» من توجيه انتقادات الى هذه الحركة، متسائلة عن ضرورة قيامها ومطالبتها بالانفصال عن الدولة العثمانية، فتشير جريدة القبلة الى مخاوف الشريف من هذه النقطة كما جاء في خطابه أمام الوفد المغربي من أنه يخشى «أن يسيء أحد من المسلمين الظن بهذه النهضة لعدم وقوفهم على حقيقتها، فيفسرها بغير الواقع»[2] ، ولكن يشير الى أن أقوال أعضاء الوفد السديدة قد طمأنته من هذه الناحية، وأن حقيقة هذه النهضة لن تخفى على كل من يريد أن يتفهمها بوضوح مهما حاول أعداء الحق إخفاءها، ويؤكد شريف مكة ذلك بقوله :

«فالغضب للحق والغيرة على سلامة البلاد وأهلها هو الذي حملني على الجهاد بالنفس والولد والقوم لصيانة كل ما يزيدنا قربا من رحمة الله ورضاه مما أمرنا الله باتباعه وأوصانا سلفنا الصالح بالتزامه»[3]، وتبقى الحضارة التي واكبت الإسلام قائمة .

---

(١) القبلة ، العدد ١٥ : ٤ .

(٢) القبلة ، العدد ١٤ .

(٣) القبلة ، العدد ١٤ : ٣ .

وإن هذا الأمر دافع للثورة : «لانتهاج كافة الوسائل الشريفة السامية التي تخلد للمسلمين عامة والعرب خاصة العزة والمنعة» وتتساءل جريدة القبلة عما يمكن قوله للذين يناهضون الحركة، ويرون أنها مبالغة في الوقوف في وجه الاتحاديين، فيما نشرته شركة سنترال نيوز عن هؤلاء الاتحاديين واستغلالهم لأموال المسلمين في تخريب بلاد المسلمين: «ما قول هذا البعض فيما نشرته شركة سنترال نيوز أن الاتحاديين ألفوا جمعية يصرفون عليها من بيت مال المسلمين بإيعاز من الألمان دعوها (بالطورانية)، لإحلال المدنيّة التركية مكان المدنية الاسلامية، وبذل مجهود لمسخ الدين الإسلامي بزعم أنه غير صالح كعقيدة ناهضة بالأمة، ولتخليص البلاد من العرب، وكل ما هو عربي، وإرسال الدعاة بهذه الضلالة الجديدة تحت حماية المدافع والخناجر حتى من نفس البلاد العربية ؟»(١).

وتتساءل الثورة أين المدنية التركية؟ «فمن الحقائق أن تاريخ الحضارة العربية يختلف اختلافا بينا عن الحضارة التركية، وكل من ينظر اليهما نظرة واحدة ليسجلهما بعنوان (الحضارة الاسلامية) يقع في نفس الخطأ الذي يخطئه من لا يفرق بين حضارة الغربيين والأحباش بل يراهما (حضارة نصرانية)(٢) فالعرب هم أهل التقدم والحضارة، وهم أصحاب أمهات الكتب، وإن وصفهم الترك (بالقوم العتيق) ووصفوا أنفسهم (بالقوم الجديد) . ثم إن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، أي لغة المسلمين ، وقد سُجلت كل إبداعاتهم الحضارية بهذه اللغة.

---

(١) القبلة ، العدد ١٥ : ٤ .

(٢) القبلة ، العدد ١١ : ١ .

دعوة إلى مهاجمة رجال الدين «كطبقة خاصة» :

لقد بينت الثورة أن الولاء في الدين الإسلامي لعامة المسلمين، وليس لطبقة خاصة من العلماء والمثقفين والمنافقين والانتهازيين الذين يصرون على تشويش الدين والدنيا على عامة الناس باسم الإسلام الرسمي، الذي يمثله الاتحاديون، فإن داء المسلمين الدفين «دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين»، وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهلة المتعممين، (وان هؤلاء المتعممين في البلاد العثمانية كانوا اتخذوا لأنفسهم قانونا سموه طريق العلماء)، وقد تحول هؤلاء بالنفاق والانتهاز الى أدوات تتبادل مع الفئات الحاكمة المنافع وألقاب التعظيم، وتشترك معهم في فرض أوضاع على الشعب باسم الدين، والدين – في حقيقته – منها براء.

والعلماء في رأي الثورة، غير العلماء الرسميين، فقد كرم الله سبحانه وتعالى العلم والعلماء، في آياته البينات، وكانت الدعوة للقراءة أول آيات كتاب الله ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾[1]، وقد حافظ المؤمنون المسلمون من رجال الثورة على كتاب الله، وأمهات الكتب، فمنعوا ترجمة الكتاب لأغراض خاصة، وأقاموا خزائن الكتب للحفاظ على كتب السنة وغيرها. وتقدم القبلة مثلا لما قام به رجال الثورة من العناية بدار الكتب الموجودة في مكة وجعلها موقوفة لاستفادة الخاص والعام والمهاجرين من هذه الكتب، كما هو الحال في دور الكتب الموجودة بمصر والشام والعراق وغيرها من الأقطار الإسلامية، وبذلك أضافوا صفحة جديدة في تاريخ خدمة العلم والعناية بدور الكتب الى ما قام به أسلافهم من الأمويين والعباسيين وغيرهم، بينما أضاف الاتحاديون صفحة تكمل ما قام به هولاكو وأجداده عندما أقدموا على إضرام

---

(١) العلق : ١.

النار في خزائن الكتب القديمة الخاصة بقصور الأشراف والمكتبات العامة، فاحترقت بذلك ألوف من نفائس الكتب الخطية التي يندر وجودها في مكان آخر(١).

وتنكر الثورة على رجال الدين الرسميين محاولة ترجمة القرآن وفقا لمصالحهم وشهواتهم وانحرافهم عن الفهم الصحيح للآيات القرآنية وتحريفها عن معناها الأصلي كما فعل هؤلاء بسورة العصر:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾(٢). صدق الله العظيم.

فقد فسروا الآية الأولى منها: «إذا جاء وقت العصر يكون الإنسان في حالة سيئة بسبب الجهد والتعب اللذين يحصلان له طول النهار(٣)، هذا ما فعله الشيخ عبيد الله الذي يدرس بجامع أيا صوفيا ... وتتساءل القبلة بقولها «لسنا ندري كيف وصلت الجرأة على الله تعالى بشيخ يضع على رأسه عمامة، ويجلس في مجلس من أكبر مساجد المسلمين في تركيا أن يفسر الآيات القرآنية على هواه، ولم يكتف بسورة واحدة بل إنه فسر أيضا الآية الأولى من سورة العاديات وهي قوله تعالى ﴿والعاديات ضبحا﴾(٤). بقوله:

«إن أوروبا وكل العالم الألماني يعرفون حكومة الترك المستقلة بأنها حكومة قوم شجاع غيور، وأن خيل الجيش التركي التي نزلت في تقديسها آية

(١) القبلة ، العدد ٨ : ٣ .
(٢) العصر : ١ - ٣.
(٣)القبلة ، العدد ٧ : ٣.
(٤) العاديات : ١.

﴿والعاديات ضبحا﴾ هي أعظم شرفا وحرمة بأضعاف مضاعفة ممن تقدسونهم من الأشراف والرؤساء الذين ليسوا من جنسكم» ، وهكذا لم يسلم من صاحب «قوم جديد» أي انسان عالم ولا صالح ولا الملائكة في السموات العلى(١).

ويرى رجال الدين من جماعة «القوم الجديد» أن الكتب الفقهية الموجودة في أيدي المسلمين الذين هم في نظرهم «القوم العتيق» إنما هي كتب نفاق وشقاق لا يجوز العمل بها، وأنّ من يعتقد أن الصلاة والصوم والحج والزكاة وكلمة الشهادة من أركان الدين، فهو من المرتدين، ويستندون في قولهم الى الآية الكريمة: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾(٣) وتفسر هذه الاية الطبقة الخاصة من رجال الدين الاتحادي ان العرب هم مَنْ ارتدوا عن الدين الاسلامي،وأن الاتراك هم «القوم الجديد» ﴿الذين يحبهم الله ويحبونه﴾ .

دعوة إلى نظام الشورى وتطبيقه:

أكدت الدائرة الاسلامية في فكر الثورة العربية الكبرى بعدا فكريا شاملا لطموح المسلمين كافة ومطالبهم وهو الشورى، من منطلق أنها وسيلة من أهم وسائل الإصلاح الاجتماعي والسياسي، ولذلك تقول الثورة: «إن هذه النهضة المباركة، التي انضوينا إليها ولبينا دعوتها لا تختص بشخص دون

---

(١) لتفصيل ذلك راجع جريدة القبلة، العدد السابع: ٣ بعنوان: حصان التركي في مذهب «قوم جديد» .!

(٢) المائدة : ٥٤ وراجع ، القبلة ، العدد ٨ : ١ - ٢ .

آخر، أو بفئة دون غيرها، ولكنها خدمة إسلامية محضة»[1].

فإذا تساءلنا عن الوسائل التي تؤدي الى تطبيق الشورى في رأي مفكري الثورة أجابت بأن:

أ) «كل مسلم في الوجود له الحق الصريح في الاشتراك فيها» .[2]

ب) وتحدد الثورة طرق هذا الاشتراك بالنواحي التالية: «بالرأي والعمل، سواء وافق القائمين في الأمر أم خالفهم».[3]

إننا نجد في هذا النص، الاتجاه الاسلامي في فكر الثورة بصورة واضحة، وعدم اقتصارها على مصلحة فئة أو أشخاص دون غيرهم، كما نجد في طيات هذا القول عودة صريحة لما أرساه الإسلام من حرية التعبير عن الرأي ودعوة كل مسلم غيور الى الاشتراك في هذه الثورة ، بالرأي والعمل سواء وافق «هذا الاشتراك» القائمين على الثورة أم خالفهم، وبذلك تؤكد الثورة وترسي دعائم نظام الشورى الإسلامية أو ما سُمّي حديثا «بالديمقراطية» ولا تزال الديمقراطية حتى الان تشغل مكانة في حياتنا السياسية، بل لعلها من أبرز المسائل التي تشغل بال المفكرين العقائديين والمنظرين، ولا أزعم أن فكر الثورة العربية الكبرى قد دعا الى الديموقراطية بمفهومها الحديث، بل إنه دعا الى الشورى بوصفها مبدأ معروفاً في التراث الإسلامي، وخاصة أن أحرار العرب كانوا يتمثلون بتطبيق الشورى بعد الاستبداد العثماني ومحاولة إبعاد العرب بشتى الوسائل عن إدارة البلاد، وقد أعلنت الثورة عن شموليتها لتضم جميع

(١ ، ٢ ، ٣) القبلة ، العدد ٦ .

أبناء الامة العربية من حجـازيـين وشاميـين ومصريـين وعراقيـين ، وقـد أدى هـذا الواقـع الجديد -القومي أو الشمولي- دوره في استقطاب جماهير الأمة العربية حول الثورة- كما تدل أدبياتها بشكل خاص، وتراثها الذي وصل الينا بشكل عام.

واذا كانت الثورة قد استطاعت القضاء على التعددية التي تقف سدا منيعا أمام وحدة الرأي، فإن عظمة الثورة الفكرية تتمثل في هذا المزج بين الشورى من ناحية، للتوصل الى الرأي الواحد ، وبين القضاء على التعددية . ذلك أن هدف الأمة العربية في ذلك الوقت كان هدفا موحدا يتمثل في التخلص من الاتحاديين وسياسة التتريك التي اتبعوها، وإقامة دولة العرب الحديثة المستقلة.

وقد فرح العرب العثمانيون باعلان الدستور «ولم يكن ذلك إلا لاعتقادهم بأن زمن الإصلاح قد دنا»، فشارك العرب بالانتخابات، وأخذ الرأي، ليستعيدوا مجد آبائهم وأجدادهم، غير أن الانتخابات التي قام بها الاتحاديون كانت تجري بقوة الحكومة، فلا ينتخب العربي عن العرب بمعرفة العرب، بل ينتخب من تريده الحكومة بالقوة، وكثيرا ما كانوا يحطمون صناديق الانتخاب ويمزقون الأوراق ليعينّوا النواب تعيينا(١) ، وهكذا قضى الاتحاديون على الدستور وعلى الشورى التي كان يأمل العرب بتطبيقها، وقد قام أحرار العرب بمراجعة أمورهم على جميع مستوياتهم، وقرروا أن التمسك بمبدأ الشورى وأخـذ الـرأي والحوار البناء هـو الذي يقود إلى الـرأي السليم،

---

(١) القبلة، العدد ١ : ٢، راجع حوال الانتخابات : حقي العظم، حقائق عن الانتخابات النيابية في العراق وسوريا.

ولهذا فتحت الثورة العربية الكبرى صفحات جريدة القبلة للحوار البناء والنقد الذاتي، وفتحت الأبواب لمرحلة تاريخية جديدة في مسيرة الأمة العربية، ودفعت الاتجاهات الفكرية للثورة نحو التراث الفكري الإسلامي، كما دفعت الممارسات السياسية القومية نحو وحدة الهدف وتحقيق الدولة العربية الواحدة .

ثانيا – الاتجاه القومي في فكر الثورة :

«الدائرة القومية»:

والثورة العربية الكبرى –على الصعيد العقائدي– ثورة قومية، فهي تجاه مسألة المجتمع الانساني في هيئته وحدوده ومقوماته، قد واجهت المسألة القومية وأدركتها، وأدركت ارتباط القومية بالحقوق السياسية القومية، وأدركت أن كل أمة تنزع إلى تكوين دولتها القومية، ويعد المنشور الأول(1) للثورة بمثابة الدستور القومي للأمة العربية، فقد بين دور الأمة العربية في التاريخ، وطالب العرب والمسلمين بالمحافظة على الأمة العربية والبقاء عليها، وأكد ضرورة الوقوف في وجه من يحاول القضاء على العرب والعروبة، ومن هنا نادت الثورة بمحاربة سياسة التتريك. وقد أشار المنشور الأول الى الترابط العميق بين عز العرب وعز الإسلام، فكانت المحصلة الفكرية للمنشور الاول لثورة العرب إنكار ما حل بالعرب من اضطهاد عن طريق التشريد والنفي والقتل والشنق، وشجب ما تعرضت له البلاد العربية الإسلامية من مخاطر عندما زج بها عملاء الاتحاد والترقي –جمال وأنور وطلعت– في أتون الحرب العالمية الأولى الى جانب الألمان، والسعي لتأمين الاستقرار القومي للعرب، وهو الاستقرار الذي يواكب ويلازم – عادة – هذا الوجود القومي للأمم، ولذلك أعلن شريف مكة الانفصال عن الاتحاديين ونادى باستقلال البلاد العربية، استقلالاً تاما

---

(1) صدر المنشور الاول للثورة العربية الكبرى بتاريخ ٢٠ شعبان ١٣٣٤هـ الموافق ٢٦ حزيران ١٩١٦م. ولم ينشر في جريدة القبلة ولكنه نشر في كتاب أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى : ١٤٩/١ وما بعدها كما نشر في عدد من الكتب.

وناجزاً.[1] وفسر الاستقلال التام بأنه غير الناقص أو المنقوص، والاستقلال الناجز، بأنه الحال ، غير المؤجل. [2]

الاستقرار القومي :

وقد تجلى هذا الاستقرار القومي في فكر الثورة العربية، في استقرار الأمة ورسوخ مقوماتها التي تقرر لها حدودها وهيئتها، واذا كان التاريخ قد شهد «أمما» تكونت ثم اندثرت فتشتت بعضها أو انصهر بعضها الآخر مع غيرها من الأمم فإن على الأمة العربية أن تقاوم المحاولات الرامية للقضاء عليها أو صهرها في غيرها، ولذلك توصلت الثورة العربية الكبرى الى أنه لا بد من أن تقاوم مقاومة كبيرة ومتميزة عبر تاريخ العرب، مقاومة تفوق بصورة كمّية وكيفيّة المقاومة التي كانت تبديها الجماعات العربية قبل هذا الوقت، مثل مقاومة الأمير فخر الدين المعني أو ظاهر العمر أو ثورة أحمد عرابي وغيرهم كثير، وأن على الوجود القومي أن يؤكد ذاته ويثبت استمراره عبر التاريخ من خلال :

١ – مقاومة جميع المحاولات التي استهدفت تخطّيه – أي تخطي الوجود القومي العربي – وخاصة سياسة التتريك.

٢ – والنزوع الى تأسيس الدولة القومية الواحدة.

٣ – والمناداة بالاستقلال لأن الأمم تزداد مقوماتها بالتحرر – مع سير التاريخ – رسوخا وعمقا ووضوحا.

---

(١) عندما دخل جيش التحرير العربي دمشق بقيادة الأمير فيصل، أعلن قيام الدولة العربية باسم والده شريف مكة «ملك العرب» وأنها دولة عربية مستقلة استقلالا تاما وناجزا في تشرين الاول ١٩١٨.

(٢) محب الدين الخطيب، الجيل الذي عاصر بعث العروبة .

وبالنتيجة فإن الأمم خالدة بخلود النوع الانساني ومقوماته، والوجود القومي هو صيغة الوجود الاجتماعي الإنساني الباقي ما بقي الإنسان.

وتأكيدا لهذا الوجود القومي، عملت الحكومة العربية في سوريا بقيادة الأمير فيصل سنة ١٩١٨ على سياسة التعريب وتطبيقها، فعربت المصطلحات التركية الى اللغة العربية، وعلى الرغم من قصر عمرها -في حساب الزمن- إلا أن منجزاتها في هذا المجال باقية حتى الآن، ومنها تعريب التعليم في المدارس، وتأسيس الجامعة السورية سنة ١٩٢٠م بفتح كلية الطب وكلية الحقوق، وتأسيس المجمع اللغوي، مجمع اللغة العربية فيها ، ولعل قضية التعريب - أي احلال اللغة العربية بدلا من اللغة التركية- هي أهم قضية واجهت التجربة الفيصلية في سوريا (الدولة العربية الاولى بعد الثورة).

وعندما تأسست الإمارة الاردنية سنة ١٩٢١م بقيادة الأمير عبدالله، تابعت مسيرة التعريب، وأوعزت بإنشاء مجمع اللغة العربية سنة ١٩٢٣م، كما أسست المتحف الوطني في العام نفسه لحفظ التراث العربي، ومما تجدر الإشارة اليه أن الجامعات الأردنية قطعت شوطا بعيدا في سياسة تعريب التعليم، وأن المواسم الثقافية التي ينجزها مجمع اللغة العربية تدور حول هذا المحور بالدرجة الأولى.

مقاومة حركة التتريك :

«التعريب» :

تطور واقع الوطن العربي بعد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨م تطورا سريعا وجذريا بعد نجاح الانقلاب وإعلان حزب الاتحاد والترقي عودة المشروطية -أي الدستور- الى البلاد، وأسقط هذا الحزب نظام حكم

السلطان عبد الحميد الاستبدادي الفردي سنة ١٩٠٩م، واستلم الاتحاديون حكم الامبراطورية، ولكنهم لم يلبثوا أن أقاموا نظام حكم استبدادياً مقنعاً بالدستور، وأصبحت الحياة الوطنية تدور حول سياسة حزب الاتحاد والترقي الحاكم وحول خططه وأساليبه تجاه مشكلتين أساسيتين :

أ– مشكلة الاستبداد في صورته الجديدة .

ب – ومشكلة القوميات وتشبثها بالمساواة في الحقوق السياسية القومية.

وهكذا أصبحت مشكلة القوميات مطروحة بصورة أكثر وضوحا وأشد عنفا، بعد أن جاء استلام حزب الاتحاد والترقي للحكم انتصارا لمبدأ التسلط القومي التركي المركزي المقنع بقناع وحدة الامبراطورية والحفاظ على الخلافة.

غير أن جمعية الاتحاد والترقي اعتبرت رياح القومية التي هبت على المنطقة بعد إعلان الدستور – اعتبرتها رياح «حق» بالنسبة الى القومية الطورانية، بينما اعتبرتها رياح «جريمة» بالنسبة الى القوميات الأخرى، ومن هنا بدأ الصراع من وراء ستار بين ذلك «الحق» وهذه «الجريمة» .

لقد قصرت الجمعية عن إدراك المعنى الذي يحمله الدستور لهذه القوميات من حيث المساواة الشاملة، سواء كان ذلك بالنسبة للأفراد ، من حيث تشبثهم بالمساواة في الحقوق المدنية، أم كان ذلك بالنسبة للقوميات، من حيث تشبثها بالمساواة في الحقوق السياسية القومية.

كذلك عجزت جمعية الاتحاد والترقي، بصورة خاصة ، عن إدراك دور العرب والعروبة المتميز في دولة الخلافة الإسلامية، من حيث كونها القومية

التي قام على أكتافها الإسلام، ومن حيث كون لغتها هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، وهي لغة أهالي أكبر أجزاء الإمبراطورية، ومن حيث كونها في الوقت نفسه اللغة العالمية «المشتركة» بين الشعوب الإسلامية التي تتكون منهاالامبراطورية.

بل لعلها أدركت دور العرب هذا، ولعل إدراك الجمعية له ولمبرراته كان من أهم أسباب سياستها المعادية للعرب والعروبة عداء خاصا(١).

ولم يلبث أن ظهر العداء واضحا بين الحركة الطورانية، والاتجاه القومي للعرب عندما وقف طلعت بك في مدينة سالونيك يخطب بتاريخ ٢٨ آب سنة ١٩١٠م قائلا: «لا يمكن أن تكون هناك مساواة بين المواطنين ما لم نفلح في تتريك الامبراطورية»، وهكذا فرق الاتحاديون شمل الأمة العثمانية بمحاولة جعل شعوبها كلها تركية بالقوة القاهرة، وخصوا العرب بالاضطهاد(٢). فطفقوا يقتلون ويصلبون «من كبراء ونوابغ رجال النهضة العربية» ، فصلبوا واحدا وعشرين رجلا في الشام في آن واحد، وهم شهداء مشانق جمال باشا. ويشير المنشور الأول للثورة الى نفي العائلات السورية البريئة الى الأناضول، «وأن الغاية من ذلك كي ينسى الأطفال لغتهم ويصيرون تركا» وفسرت الثورة هذا العمل بقولها : لعلهم يأتون بأسر تركية بدلا من المنفيين فيسهل عليهم تتريك بلاد الشام ، «ووصلنا

---

(١) راجع هذا المعنى في أعداد القبلة الأولى.

(٢) راجع حول هذه المعاني الأعداد الأولى من جريدة القبلة : العدد الأول والثاني ، والرابع ... والتاسع والحادي عشر، لأنها تشرح سياسة الاتحاديين الضارة، كما ترفض خطة التتريك الإجبارية، وتستنكر الاتجاه الطوراني الذي يتهجم على العرب، كما ذكرت وفي أماكن متعددة من هذا البحث.

الى حال من الخطر لم يسبق لها في الإسلام نظيرا»[1] ، فكان لا بد من مهاجمة مخططات الاتحاديين الرامية الى إنهاء الوجود القومي العربي، والفكر القومي العربي من خلال إبعاد العرب عن تراثهم التاريخي والأدبي، وبدأت الثورة تنبه -من خلال جريدة القبلة، في تحليلها لهذه الخطوات الخطرة- الى أنه لا بد من أن يكون هناك تحرير فكري للأمة العربية، من جميع الأفكار التي يطرحها الاتحاديون بغية طمس الهوية العربية، والسير في عمليات التتريك مبرزة ما لأهمية الفكر - من ثقافة وأدب ولغة، وانعكاسات ذلك كله - على الحياة الاقتصادية والاجتماعية وما لذلك كله من أثر في الوصول الى الاستقلال إذ إن «التحرير الفكري يعقبه دائما التحرير السياسي»[2] في نظر مفكري الثورة العربية الكبرى الذين أخذوا بنشر الأفكار التحررية بهدف خلق مناخ فكري عام يعطي للثورة قاعدتها الواعية بأهدافها، حيث أدركت الثورة مبكرا أن ليس العلماء والعالمون فقط هم رجالها وهدفها، ولكنها ثورة كل العرب والمسلمين.

وقد ظهر في العديد من مقالات جريدة القبلة ما يشير الى عناصر التغيير الفكري المطلوب تأييده في أذهان جماهير الثورة، بحيث يشعرون بما ميزهم به الله من كونهم عربا، فهم أولا عرب جمعتهم منطقة جغرافية واحدة، يتحدثون بلغة واحدة لغة عريقة راقية واسعة «وهم عرب مغرقون في الحضارة من قدم التاريخ، وأن العرب ليسوا بحديثي نعمة في المدنية والمجد كسائر الأمم التي قامت وسقطت وظهرت ثم اختفت ثم هبطت ووُجدت ثم

(١) راجع المنشور الأول للثورة.

(٢) القبلة ، العدد ١١ : ٢.

عُدمت، وحييت ثم ماتت، فإن العرب أعرق الأمم في العلم والمدنيّة والفضائل، تدل على ذلك لغتهم الراقية الواسعة»[1] وذلك على الرغم من أن الأتراك حاولوا قتل اللغة العربية في جميع الولايات العثمانية بإبطالها من المدارس ومنعها من الدواوين والمحاكم، وعلى الرغم من قول رئيس جمعية (تورك بوردى) : «جدير بنا نحن الأتراك أن نبدل الجامعة العثمانية بالجامعة التركية، لأن الترك أمة ذات كيان قائم بنفسه، وهي تستطيع أن تكون لذاتها قومية تتأسس عليها دولة قوية، ولذلك علينا أن نسعى الى إقامة دولتنا وإحياء لغتنا وآدابنا وكل أوضاعنا ... فتنقلب الأمور الى صالحنا رأسا على عقب ونصبغها بالصبغة التركية»[2]. وكانت جريدة القبلة تسعى إلى إشعال روح القومية لدى الجماهير، وتشير الى أن قدرة هذه الأمة على البقاء لم يؤثر فيها أي من عوامل الانحطاط التاريخية التي مرت بها، وتؤكد أن هذه الأمة طال صمتها، ولكن ذلك لا يعني أنها قد انتهت «فإن فضائل الشعب العربي الكريم لا تزال كامنةفيه كمون النار في الزناد».[3]

إن الثورة قد أرست بهذه المفاهيم سمات فكرية مميزة للعرب كافة، فهم ذوو تاريخ حضاري عميق، وذوو لغة متجددة معطاءة، وهم من أقدر الأمم على الحياة وعلى إشعال جذوة الحياة، دائما وأبدا، وعلى الرغم من كل ما يمر بهذه الأمة من عوامل الوهن ودورات التاريخ، فإن هذه الأمة وُجدت لتبقى ضمن الوجود الانساني كدولة قومية إنسانية، وليست قومية

(١) القبلة ، العدد ٤ : ١ .

(٢) القبلة ، العدد ٩٩ : ٣، عن جريدة (بيام) التركية الصادرة في الاستانة .

(٣) القبلة، العدد ٤ : ٢.

عنصرية – على النقيض من القومية التركية التي تصر على تمييز العنصر التركي – بحيث تكون دولة العرب دولة قومية من أجل إثراء الانسانية وإسقاط الفاشستية والعنصرية. وتقول الثورة في ذلك : «إذا سأل سائل هل كانت دعوة شريف مكة وإعلان استقلاله نتيجة النزاع بين العناصر، كان الجواب الصحيح الذي لا يتناوله الباطل من جهة من جهاته، كلا، لأن العنصر التركي – أي الأمة التركية– لم تقل بحرمان العناصر الأخرى من مشاركتها في الحكم والتمتع بخيرات البلاد، ولم تلطخ يد العنصر التركي كعنصر مستقل قائم بنفسه بدم أحد من الأبرياء، ولكن الذين تولوا الحكم صبغوا أنفسهم بصبغة العنصرية التركية»[1] ولذلك قام العرب بثورتهم «ومن ذا الذي يمنعهم عن طلب الحرية والاستقلال، ويرغمهم على الرضى بالاستعباد والإذلال»[2]، وقد وصلت العصبية التركية الى العصبية الجاهلية، «ولكن العصبية الجاهليةالأولى كانت قبل أن يعم انتشار الدعوة الاسلامية، فلما عم انتشارها صار المسلمون جميعا بنعمة الله إخوانا، وقد استمروا على ذلك أكثر من ثلاثة عشر قرنا الى أن جاء الاتحاديون فأوجدوا لنا من العدم عصبية جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان»[3].

ولذلك فإن كل من يفكر بوضع البلاد العثمانية الآن، وبما كانت عليه في الشهور الأولى من إعلان الدستور، يرى فرقا عظيما بين الحالتين في كل شيء، خصوصا فيما كانت الأمة تعلق آمالها على حصوله، من أسباب الهناء ومسائل الارتقاء، ورجوع عهد العز للشرق،« ولكن المسيرة التي سارها الاتحـــاديون

(١) القبلة ، العدد ٢ : ٤.

(٢) القبلة ، العدد ٦ : ١ .

(٣) القبلة ، العدد ٤ : ٣،٢ .

لقد أكد العرب هذه المفاهيم في المؤتمر العربي الاول الذي عقد في باريس سنة ١٩١٣م. راجع خطبة عبد الغني العريسي، في جريدة المفيد، وفي كتاب : اللجنة العليا لحزب اللامركزية، المؤتمر العربي الأول، طبعة حزيران سنة ١٩١٣م القاهرة .

فيما بعد كذبت كل تلك الآمال، وجاءتنا نتيجة لا نبالغ إذا قلنا أن كل عثماني كان يستبعد الوصول اليها في زمن الدستور، كيف لا وقد رأينا جميعا أن الدستور نفسه قد زال من الوجود، وأمسينا على حد قول الشاعر:

كان عبد الحميد في الأمس فردا فغدا اليوم ألف عبد الحميد..»[1]

ويقدم المنشور الأول للثورة صورة للواقع المرير في أرجاء الامبراطورية يصور فيها موقف الاتحاديين الذين «حادوا بالدولة عن صراط الدين ومنهج الشرع القويم، وسلبوا شوكة السلطان المعظم، وما له من حق التصرف الشرعي والقانوني أيضا، وجعلوه هو ومجلس الأمة ومجلس الوكلاء منفذين للقرارات السرية لجمعيتهم الثورية، وأسرفوا في أموال الدولة وحمّلوها الديون الفاحشة ... وأضاعوا عدة ممالك كبيرة من ممالكها، وفرقوا شمل الأمة العثمانية بمحاولة جعل شعوبها كلها تركية بالقوة القاهرة، فأوقعوا بينها وبين العنصر الذي أرادوا تسويده عليها وإدغامها فيه العداوة والبغضاء، وخصوا العرب ولغتهم بالاضطهاد ... ولم يكتفوا بذلك كله، حتى خاضوا بالدولة والأمة غمرات هذه الحرب الأوروبية الساحقة الماحقة، فوقفوا بالدولة موقف الهلكة، وألقوا بأيديهم الى التهلكة، واستنزفوا باسمها ثروة الأمة كما استنزفوا قبلها ثروة الدولة، ثم اتخذوها ذريعة للفتك بجميع المخالفين لرأيهم في سياستهم الخرقاء وإداراتهم الظالمة، وللتنكيل بالعرب خاصة حتى أن حَرَم الله سبحانه وحرم رسوله الأعظم لم يسلما من شرهم»[2].

---

(١) القبلة ، العدد ٢ : ٤ .

(٢) المنشور الأول للثورة، أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى : ١٤٩– ١٥٧.

ولعل هذه الصورة تبين بصدق واقع الامبراطورية العثمانية من النواحي الاقتصادية والعسكرية والدستورية بالإضافة الى الناحية الدينية التي يشير اليها المنشور الأول للثورة، وكيف ألغى الاتحاديون التزام الصلاة «فجعلوا الصلاة غير واجبة توسلا بذلك الى إبطالها».[١]

وتحمل الثورة أعضاء جمعية الاتحاد والترقي مسؤولية تغيير هذا الواقع وزجّهم بالبلاد العربية في أتون الحرب العالمية الأولى، وبذلك يقول جلالة الحسين بن علي: «إني لم أرد لنفسي زيادة جاه وثروة في هذه الدنيا بعد أن كنت حاصلا على كل شيء ، ولكن الغضب للحق والغيرة على سلامة البلاد وأهلها هو الذي حملني على الجهاد بالنفس والولد والقوم ، وإن أعظم غاياتنا المحافظة على كياننا الديني والقومي كما صرحت بذلك في منشوري الذي أعربت فيه بالاختصار عن أسباب هذه النهضة ومقاصدها، ولنعيد للمسلمين عامة، والعرب خاصة العزة والمنعة»[٢].

وكان هذا الرأي يتفق مع آراء الجمعيات العربية السرية وأهدافها التي تشكلت من أحرار العرب في العراق وبلاد الشام ومصر وغيرها من البلاد العربية، مثل جمعية العربية الفتاة السرية، وجمعية العهد، وحزب اللامركزية العلني، وغيرها من الجمعيات الإصلاحية. وبعد الاتصال الذي تم بين الجمعيـــات وشريف مكة خلال الحرب تبلورت فكـرة إقامة الدولـة العربيــة

---

(١) المنشور الأول للثورة، أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، ١٤٩ – ١٥٧.

لمزيد من التفاصيل راجع الكتب التي أرخت لهذه الفترة :

أ – الدكتور عبد العزيز الدوري ، التكوين التاريخي للأمة العربية.

ب – الدكتور عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون من سنة ١٦١٥–١٩١٦م.

جـ – سلسلة كتب الدكتور عبد الكريم غرايبة ، تاريخ العرب الحديث.

(٢) القبلة ، العدد ١٤ : ٢.

الموحدة في المشرق العربي، دولة مستقلة استقلالا تاما غير مؤجل، تشمل بلاد الشام والجزيرة العربية والعراق[1]، وكانت عبارة «الحقوق الطبيعية» للامة الواردة في دساتير هذه الجمعيات، هي عبارة ذات مضامين واضحة، وليست مجرد عبارة انشائية، وكان استعمال هذه الجمعيات لمصطلح «الأمة العربية» ومناداتها بالحقوق «القومية» لهذه الامة، كان ذلك كله وقائع ثابتة تؤكد وعي مؤسسي هذه الجمعيات وأعضائها لمبدأ القومية، وتمسكهم بالقومية العربية، في مواجهة سياسة التتريك التي أعلنها الاتحاديون، والتي كانت مطروحة في ذلك الوقت — أي بعد حكم الاتحاديين سنة ١٩٠٩م ولكن الاتحاديين أنكروا الاتجاه القائل بوجود «أمم متعددة» في الامبراطورية العثمانية، وحاولوا تتريك الامبراطورية برمتها.[2]

الدولة القومية الواحدة:

حُدّد الهدف العملي للحركة العربية بهدف قومي،حددته جمعية العربية الفتاة السرية، وهو قيام دولة عربية مشرقية كبرى، تكون دولة عربية موحدة مستقلة، وقد تبنت الثورة العربية الكبرى هذا الهدف الوحدوي، وقامت من أجل تحقيقه، بعد أن حمل الأمير فيصل حدود هذه الدولة الى والده [3] فوافق عليها، وجرت محادثات الحسين مكماهون حول قيام هذه

(١) الدكتورة سهيلة الريماوي، جمعية العربية الفتاة السرية .

(٢) راجع حول هذا المفهوم دساتير هذه الجمعيات، والدراسات الجامعية التي تبنتها جامعة عين شمس في مصر، في فترة السبعينات، بإشراف الاستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم رئيس الجامعة.

(٣) دخل الأمير فيصل في عضوية جمعية الفتاة العربية السرية سنة ١٩١٥م وأصبح يحمل الرقم ١٢٨ والرمز أ.ك كما تشير وثائق الجمعية، وقد أعطته الجمعية خريطة الدولة العربية ليقدمها لوالده. راجع : مذكرات محب الدين الخطيب—سيرة جيل ، والدكتور احمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى.

الدولة، (*) من منطلق أنه لا بد لهذه الأمة -أي الأمة العربية- من أن ترفض الواقع القائم ومحتواه، وتتحرك لإعادة صنع الحياة العربية -بالثورة- وتوفير «حياة كريمة في بلاد الحجاز المقدسة، وسهول العراق المنبسطة، وجبال الشام الشامخة»،(١) ولا بد لهذه الأمة من إعادة تأسيس دولتها «وان كل دولة تنشأ في أي بقعة من بقاع الارض، وفي أي زمن من الأزمان اذا لم يكن العرب بناة أساسها وأركان بنائها.. فهي دولة لا تدوم ولا يحسن حالها ولا تسعد رعاياها»(٢) ولذلك فعلى العرب أن يحققوا دولتهم - هدف الثورة - في المشرق العربي «فإذا وفق العرب، وهم موفقون إن شاء الله، الى تكوين جامعتهم وتنظيم عقدها المنتشر فإنهم ولا شك معيدون مجدهم»، وتتمنى الثورة أن تحمل الانباء القادمة «ما تفرح به قلوبنا وتنشرح خواطرنا، فيكفي العرب ما مرّ بهم من الشدائد»(٣).

وعندما ينهض العرب ويحققون دولتهم العربية، عليهم تخطي الأوضاع التي شهدتها البلاد العربية أيام الحكم العثماني، وتخطي الويلات التي خلفها هذا الحكم على سكان البلاد وحالت دون تحقيق الرقي بها.

وتتساءل الثورة: «ماذا رأت مصر في أيامهم غير الجور وضرب السوط وإخماد أنفاس الفلاح الذي لا يزال بين أفراده من الشيوخ من لا يذكرهم

(*) راجع حدود هذه الدولة في مذكرات الملك عبدالله : الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين : ١١٢، وهي تمتد من الاسكندرونة الى مدينة رفح على الساحل ثم تضم الجزيرة العربية تاركة عدن، ثم يصل خط الحدود الى البصرة ومنها الى الشمال حتى ديار بكر، ثم يتجه نحو الغرب الى مدينة اسكندرونة.

(١) افتتاحية العدد الرابع من جريدة القبلة.

(٢) القبلة ، العدد ٥ : ١ .

(٣) القبلة ، العدد ٥ : ٣.

بخير؟ بل ماذا رأى الحجاز مشرق الأنوار الهاشمية، والشام موطن المدنيّة العربية والعراق مهد الحضارة العباسية، غير القسر والتعذيب والإرهاق والتخريب»[١].؟

وتؤكد الثورة في اتجاهها الفكري القومي عراقة الأمة العربية، وتاريخها الحافل بالحضارة من أيام حمورابي في العراق، الى الدول العربية في اليمن، الى القبائل العربية على حدود بلاد الشام[٢] وأن هذه الحركة «النهضة العربية» «قامت بالعرب ولأجل فائدة العرب ولمصلحة بلاد العرب»[٣]. وبالتالي فإن تحقيق الجامعة العربية، (أي الدولة العربية) ليس بالأمر الغريب لأن «الامة العربية ترجع الى أصل واحد وتتكلم بلغة واحدة، وهذا من أهم دواعي اجتماع الأمم»[٤]، ويرتبط هذا المفهوم القومي المناضل والممتد تاريخيا بتكوين الدولة العربية بما قدمه العرب عبر التاريخ للبشرية، « فالدول الكبرى التي قامت عبر التاريخ هي الدول العربية - الإسلامية، كالدولة الأموية والدولة العباسية التي قدمت الحضارة الانسانية لجميع العالم، فأين الكوفة الآن من الكوفة أيام «إخوان الصفا» أو الكسائي، وأين كربلاء اليوم والنجف من الأمس لا توجد فيها مدرسة واحدة يجوز ان تسمى رشيدية، والبصرة ثغر العراق وبلاد الشام، فقد ضرب الاتحاديون على أيدي الافاضل فيها لأنهم يعلمون أكثر من غيرهم أن التحرر الفكري يعقبه التحرر السياسي وهذا ما يخشاه الاتحاديون، ولكن ليس غريبا أن ينهض العرب

---

(١) القبلة، العدد ١١ : ٢ .

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع اعداد القبلة : الثاني، والحادي عشر والحادي والعشرين .

(٣) القبلة ، العدد ٣ .

(٤) القبلة . العدد ١٨٤ .

أسوة بالأمم الحية والشعوب الأبية»[١] ... وأسوة بأسلافهم فيحققوا دولتهم الواحدة، وعندها «سوف يذكر أحفادنا هذه الحرب العامة بالخير والشر معا، لأنها أماطت اللثام عن العدو المتزيي بزي الصديق، فصار من الواجب سحقه وتأسيس دولة قوية مكانه»[٢] ومن أجل ذلك قامت الحركة العربية تنادي بالانفصال أو الاستقلال عن الاتحاديين.

ومن هذا المنطلق الوحدوي حرصت الثورة على جمع كلمة أهل البلاد العربية، ولم شعث العرب[٣] لأن النهضة العربية قامت من أجل جميع العرب دون تمييز في المذهب كما يؤكد شريف مكة بقوله :« إن وحدة القومية هي جامعة التفاهم وتبادل المصالح، وطالما قلت : إن العرب عرب، قبل أن يكونوا مسلمين أو مسيحيين او موسويين»[٤] وبهذا المفهوم تخطت الثورة الطائفية والعرقية والعنصرية، والقطرية التي تعاني منها الأمة العربية، وقد التزمت بلاد الشام بتطبيق هذه المفاهيم -بعد الحرب العالمية الأولى- وبقي لبنان يعاني من الطائفية وأضرارها الى اليوم.[٥]

مقومات الدولة الجديدة في فكر الثورة:

جاء المنشور الثالث للثورة العربية الكبرى جامعا شاملا لمقومات الدولة الجديدة التي قامت الثورة من أجل تحقيقها، إذ تناول البحثَ في حالة

---

(١) القبلة ، العدد ٧ : ١ .

(٢) القبلة ، العدد ١١ : ٢ .

(٣) القبلة ، العدد ١٧٧ .

(٤) القبلة ، تاريخ ٤ محرم ١٣٣٧هـ.

(٥) عندما أعلن الأمير فيصل قيام الدولة العربية في دمشق -باسم والده شريف مكة -ملك العرب- أكد هذا المفهوم الوحدوي، وطاف أنحاء سوريا شارحا ضرر الطائفية والعنصرية والقطرية، كما أن الدستور الأردني أكد هذا المفهوم عندما أعلن مساواة المواطنين الأردنيين على الرغم من اختلاف العرق والدين.

البلاد الداخلية قبل هذه النهضة وبعدها «فتجلت للناس صفحة من أمجد الصفحات وحالة من أسعد الحالات» في بلاد العرب بعد قيام هذه النهضة المباركة وكانت المقارنة «من باب القياس مع الفارق وان الشواهد على ذلك قائمة».

أما ما كان عليه الوضع في المملكة العربية التي أعلن استقلالها بعد النهضة فهو كما قال الله عز وجل:﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[1] «فقد فتحت أبواب الاكتساب الخارجية بعد انسدادها، ودارت حركة الأعمال بعد وقوفها، وتوافرت مواد المعيشة بعد انقطاعها، وابتسمت الوجوه بعد عبوسها، وصارت مناصب الحكومة ووظائفها خاصة بأصحاب الكفاءة من أبناء البلاد، يخدمون بها مصالحها العامة، ويقومون بالنافع من حاجات أوطانهم ولوازم راحتهم وهنائهم. ولا عجب في ذلك فهنالك فرق عظيم بين أن تكون الأمة حاكمة وأن تكون محكومة ...»

وكان جلالة الحسين بن علي ملك العرب قد بشر في منشوره الثالث: بـ «أن ما حصل حتى الآن من النعم والخيرات ليس الا جزءا قليلا من الخير التدريجي»[2] فإذا تساءلنا عن خطة هذا الخير التدريجي (ولعلها أقرب الى خطة تنمية كما يعرف في وقتنا الحاضر) وجدنا الجواب في العدد الثاني والثلاثين من جريدة القبلة إذ إنّ من جملة ما عزمت عليه الحكومة العربية الهاشمية:

---

(١) النحل : ١٨.

(٢) راجع منشور الثورة الثاني في العدد ١١ من القبلة والمنشور الثالث في العدد ٣١ .

١- النهوض بأمر المعارف على أساس تقويم يتضمن تهذيب ناشئة البلاد اذ «ستؤسس الحكومة لأبناء هذه الأمة المدارس المساعدة على نهضة البلاد بكل أنواعها، كالمدارس التجارية والصناعية والزراعية والطبية والهندسية، وسائر ما نحتاج اليه في حياتنا الجديدة، هذا فضلا عما تأسس الآن أو تقرر تأسيسه في القريب العاجل من المدارس التحضيرية والابتدائية الراقية والثانوية ...».

٢ - والوصول الى الارتقاء والمدنية الهادئة فـ «ان البلاد التي انتشرت فيها الأمراض المعنوية وانهمكت بملذاتها، لا يكون إصلاحها الجدي الا بعمليتي النقض والبناء، ولما كان بناء المملكة على أساس التقوى، فإن الوصول بها الى هذا الارتقاء الجدي والمدنية الهادئة لا يكون الا بالتضامن الاجتماعي والسعي المشترك».

٣ - والدعوة الى السعي والعمل بحيث يقوم كل فرد من أفراد الدولة بما يتقنه ويحسنه من وسائل المساعدة للنهضة العامة حتى يتم الخير العميم على أيديهم جميعا، فتشترك الامة كلها في نتائجه كما اشتركت في مقدماته «وبهذا تقيم الأمم صروح المجد وتهيء لممالكها أسباب الهناء والسعد».[١]

وقد أشار المنشور الهاشمي الثالث الى ضرب من ضروب السعي الذي يستطيع كل فرد من أفراد الأمة القيام به (وهو على شكل مشروع مقترح كما يدعى في وقتنا الحاضر) يتلخص في :

---

(١) القبلة ، العدد ٣٢ : ٢ .

(أ) إنعاش اقتصاد المملكة العربية الحديثة: «فإن الذي يطرق باب الكسب بنوع من أنواع التجارة، أو يتعلم إحدى الصناعات ويؤثر الاشتغال بها، ويستعين على قتل الوقت والبطالة والفراغ، لا يخدم بذلك نفسه وأهله فقط، بل هو يخدم بلاده أيضا، وفي الوقت نفسه يغنيها عن الاحتياج للخارج، ويحفظ لها نصيبا من ثروتها»،[1] وهكذا تنبهت الثورة الى قيمة «الناتج المحلي» ومحاربة البضائع الأجنبية، وأشارت الى أهمية الاكتفاء الذاتي للدولة الحديثة.

(ب) والدعوة الى العلم : «فإن الذي يضع ابنه في المدرسة لا يقتصر نفع عمله هذا على ابنه وحده، بما يتولاه من الوظائف أو بما سيرشده اليه علمه من طرق الكسب، بل هو ينفع بلاده أيضا بما يتم على يد ابنه في المستقبل من الأعمال الصالحة والخدمات النافعة».

(جـ) والدعوة الى الجهاد والدفاع بحيث «يتبارى أبناء العرب في الميدان العسكري، وعليهم سيماء البسالة في كل حركة من حركاتهم»، وعلى هذا الأساس يجب أن تفتح الثكنات العسكرية والمدارس الحربية، وعندها نرى : «شبابنا الكرام يتسابقون الى امتشاق الصوارم وخوض الملاحم غير هيابين ولا وجلين لعلمهم أنهم يدافعون عن أنفسهم»، فانفروا أيها العرب الى الدفاع عن بلادكم وعن حقوقكم وعن تاريخكم وعن دينكم وعن كل عزيز عليكم وغال

(١) القبلة ، العدد ٣٢ : ٢.

عندكم ، ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[1]
وهكذا دعت الثورة الى الجهاد بالنفس والمال، فأحيت الروح العسكرية عند أبناء هذه الأمة.

---

(١) القبلة العدد ٣٢ : ٢ ، والآية هي ١٠٥ من سورة التوبة.

مفهوم الاستقلال في فكر الثورة:

طرحت الثورة العربية الكبرى مفهوم الاستقلال، ووصول العرب الى التحرر وممارستهم الحرية في أكثر أدبياتها، وبينت أن النهضة العربية قامت من أجل إعادة الحياة للأمة العربية والوصول بها الى مستوى الأمم الحية، وحتى لا ينتهي وجودهم تحت ضربات الأمم الجاهلة الحاقدة على العروبة منذ أيام جنكيز خان وتيمور وهولاكو وغيرهم، ولذلك فإن العرب يقاتلون متطوعين غير مكرهين ولغاية شريفة سامية[1] هي الاستقلال العربي، وتحقيق فكرة الحرية للعرب، «التي حُرم على العرب لفظها»، ودعت الثورة الى التأني والاطلاع على تجارب الدول العربية الكبرى التي قدمت عبر التاريخ البشري الكثير من المقومات الحضارية والتقدم للبشرية بعامة، وللدول العربية الإسلامية بخاصة، وفي مقدمة هذه القيم «الاستقلال، والحرية».

فالعرب لم يخضعوا لحاكم غير عربي في الجاهلية «ولم يفقدوا جرثومة استقلالهم» على مدى العصور، وإن فكرة الاستقلال قد سيطرت على العرب منذ القدم، لأن «الأمة العربية مطبوعة على الحرية»[2].

أما في العصر الحديث «فقد مات في سبيلها الكثيرون من الوطنيين» ، واستبدت فكرة الاستقلال بكل نشاط السكان وحماسهم باعتبارها « الأمنية التي طالما انتظروها» ولعل القبلة تجيب على تساؤل المتسائلين حول خضوع العرب للدولة العثمانية فتؤكد في مواقع كثيرة منها أن العـــــرب وإن كانوا

---

(١) القبلة ، العدد ٦ : ١ .

(٢) المرجع نفسه.

خضعوا لدولة آل عثمان، فإن خضوعهم كان خضوع الحليف لحليفه.[1]

وقد دعت الثورة لاستقلال العرب التام وقطع كل صلة بهؤلاء المتقلبين السفاكين منذ المنشور الأول للثورة[2]، وهبّت البلاد للنهوض بأمر استقلالها بعدأن ضربت على أيدي عمال الاتحاديين، «استقلالا تاما مطلقا بكل معاني الاستقلال الذي لا تشوبه شائبة أو مداخلة اجنبية» وتصر الثورة على الاستقلال المطلق، (أي الاستقلال الذي لا يخضع لأي دولة أجنبية)، والاستقلال التام (أي غير الناقص).

أما ما يخص علاقة الثورة بالدول الأجنبية وسيطرتها على البلاد العربية، فإن جريدة القبلة تؤكد في مواقع كثيرة منها استقلالية العرب، وأن الأجانب لا يتمتعون بأي نفوذ في الأقطار العربية، وليس لهم صلة بالمرافق العامة، أو سيطرة على استقلال البلاد، وتؤكد أننا «أمة مستقلة في جميع الشؤون الداخلية والخارجية، كغيرنا من الأمم الحرة الحية، فقد قامت الحرب بالسيوف الهاشمية والجيوش العربية فكان ذلك مدعاة الاهتمام والإكبار».[3]

وكان لا بد من أن ترد الثورة على ادعاءات المغرضين التي تدور في فلك نقص الاستقلال العربي والخضوع التام للأجانب، وترفض الثورة ذلك بقولها: «لقد أخرجنا الترك من أرضنا لأنهم عَدّونا أجانب عنهم، ولأنهم

---

(١) حول مفهوم الاستقلال راجع جريدة القبلة : العدد الأول والعدد ١٩ والعدد ٢١.

(٢) لقد نشرت جريدة القبلة كل ما صدر عن الثورة في مناشير عدا المنشور الاول فهو موجود في كتاب امين سعيد، الثورة العربية الكبرى.

(٣) القبلة ، العدد ١٥ : ١ .

عبثوا بتقاليدنا التاريخية والدينية، فكيف نسعى الى الرضى بسيادة هذا وذاك من الأمم الأخرى» وتؤكد لهؤلاء المغرضين: «وها نحن نعلن للجميع: أجل نحن الذين شرعنا في النهضة وهيأنا أسبابها وأضرمنا نارها فلم يشاركنا في ذلك أجنبي قط، وكل ما في الأمر أننا فاوضنا غيرنا في عدم المداخلة في شؤوننا وبسط يد المساعدة السياسية الينا مع قدر الطاقة، لاشتراك المصالح الحيوية بيننا، وأفهمناهم أننا عقدنا النية على صياغة الاستقلال وأن محالفتنا لهم قائمة على دعامة الاستقلال الصريح، والتقدم القائم على تأكيد الحرية والاقتصاد في البلد المستقل، أما الحرية فهي أن يعيش الانسان في بلد مستقل ليس فيه استبداد، وأن يختار قوله وفعله دون أن يعترضه مانع ظالم»[1].

ثم تعدد الثورة أنواع الحرية فهي : «حرية الكلام، والخطابة والتعلم، والمطبوعات، وحرية المباحثات العلمية، والأمن على الأرواح، وحرية العبادة، والأمن على الشرف والعرض...».

وتبرز الثورة في أعداد كثيرة من القبلة كيف أنها أقامت المدارس العلمية، وحافظت على الكتب القيمة، وأتاحت فرص الكتابة والحوار على صفحات جريدة القبلة -الجريدة الرسمية- فأصبح المسلمون والعرب يكتبون في جريدة القبلة سواء كانوا في المهجر أم في الوطن العربي[2].

---

(١) القبلة ، العدد ١٧ : ١ .

(٢) انظر جريدة القبلة ، العدد ٩٢ والعدد ١٠٩ وغيرهما وفي هذين العددين كتابات وقصائد وردت من عرب المهجر .

المفهوم الاقتصادي في فكر الثورة:

قامت الثورة بوضع برنامج اقتصادي بينت فيه أهمية البعد المادي الاقتصادي في حياة الأفراد والأمم، ودعت الى محاربة البضائع الأجنبية والاكتفاء الذاتي ورأت إتاحة العلم بأنواعه، أي الصناعي أيضا، واختيار العمل المناسب للانسان (أي حسب ميوله) إنما يخدم وطنه، ويخدم حاجاته المادية، أي نفسه. وهكذا أبرزت الثورة أثر سائر حاجات الإنسان المادية على حياة الفرد والأسرة، وبالتالي على حياة المجتمع وتطوره. وأعلنت الثورة أن العمل مقياس لإنسانية الانسان، وأن الانسان لا يكون انسانا ما لم تكن له صنعة مفيدة[1] ليساهم في تطور مجتمعه وتغيره نحو الأفضل، فحياة العرب منذ القدم، حياة متطورة نحو الأفضل، ولم تكن في عهد من العهود جمودا وركودا[2].

والنتيجة : هل يكون العرب أم لا يكونون؟

وإذن يمكننا القول إن الثورة أدركت حركة التغير والتطور، ولمست أثرها على سير الحياة وحركة التاريخ، فقد قامت النهضة العربية من أجل النهوض بالعرب حتى لا ينتهي وجودهم، وعلى الرغم من أهمية الاستقلال التام للعرب، فإن الثورة تطرح علانية أن المسألة التي قامت من أجلها، ليست مسألة أمير نادى باستقلاله، وجيش ثار لتحرير أرضه، بل هي أكبر من ذلك بكثير، هي مسألة تجمعها كلمتان «هل يكون العرب أم لا يكونون، أما العرب، فقد أجابوا تحت راية الأمير الشريف قائلين : إما أن نكون أعزة أو

---

(١) القبلة ، العدد ٣٢ .

(٢) المرجع نفسه .

نموت شرفاء[1]، وجميع أدبيات الثورة صريحة في تأكيد هذا المفهوم الحركي الحياتي للأمة العربية، ورفض اليأس من إمكانيات نهوض الأمة العربية واستئناف رسالتها، فقد قامت الثورة للوصول بالأمة العربية الى مصاف الأمم الحية، «وقد حاول التركي مرارا أن يقف في سبيلها ويعرقل مساعيها سواء في أيامنا أو أيام آبائنا ولكنه فشل أخيرا كما فشل الظلام في مقاومة النور»، وقد وجه التركي عنايته توجيها خاصا للقضاء على لوازم النشوء القومي عند العرب، لأنه كان يكره التربية بالطبع، ولا سيما اذا كانت له منفعة في هذا الجهل، فحارب الاتراك «الملاجيء التهذيبية» وضربوا على أيدي الأفاضل «أرباب الأفكار المستقلة» منذ أمد بعيد ، لأنهم يعلمون أكثر من غيرهم أن «التحرير الفكري يعقبه دائما التحرير السياسي» وقد حاول الترك رفع الأدبيات العربية وتاريخ السلف من المدارس الأهلية، وأمروا بجعلها على نمط المدارس الرسمية «لتُميت في الناشئة شعور التهذيب القومي»[2].

وتستشهد الثورة بالأمم المتأخرة حضاريا، حيث كان يذهب أبناؤها نحو: «بغداد والبصرة والكوفة وقرطبة والقاهرة ودمشق في القرون الوسطى لينهلوا العلم من مناراته الخالدة في تلك البلدان العربيـة، وهـذا سجل كبير فيـه آيـات بينات كتبت بالإبريز ليقرأهـا طلاب الإصلاح، ويقـارنوا بـين حضارتنـا وبـين الحضـارة التركيـة ، وهـي سلسلـة مـن ضربـات

(١) القبلة ، العدد ١ : ٢ .

(٢) القبلة ، العدد ١١ : ٢ .

جنكيزية وويلات تيمورية وطامات أنورية جمالية طلعتية». [1] .

مفهوم الخلافة في فكر الثورة:

وبعد أن طرحت الثورة اتجاهها الفكري الإسلامي، من خلال الدائرة الإسلامية، وطرحت اتجاهها الفكري القومي من خلال الدائرة القومية، وضّحت أن الدائرة الإسلامية تتألف من أقوام، ووجهت نظرها الى الأمة العربية لتظهر خصائصها القومية المميزة، وتبين دور العرب القومي المتميز على مر العصور، كما رأينا، في حركة النهوض بالإسلام وبالأمة الإسلامية، ويظهر أن الاتجاه الفكري العام للثورة يتوصل الى النتيجةالتي مفادها:

أن خليفة المسلمين لا بد أن يكون عربيا قرشيا، وأن سلطات الخليفة وصلاحيات السلاطين تكون رابطا دينيا أكثر منه رابطا سياسيا، وهذا الاتجاه في فكر الثورة مستمد من الاتجاهات الفكرية التي طرحت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ممثلة بأفكار الكواكبي ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب وغيرهم؛ إذ إن هذا الحل يبقي على الخلافة كجامعة إسلامية، ويعطي للشعوب نصيبا غير قليل من الاستقلال الذاتي، كما يسلب الخليفة كل الصلاحيات تقريبا، بصورة، يتضح فيها، أن هذه الفكرة تستهدف منع استبداد الخليفة بالمركزية في الحقوق السياسية والإدارية للشعوب التي تتكون منها الامبراطورية.

وقد أكدت الثورة فكرة أن يكون الخليفة عربيا قرشيا، بعد أن شرحت

---

(١) القبلة ، العدد ١١ : ٢ (نسبة الى أنور وجمال وطلعت).

بالتفصيل مساوىء سياسة التتريك، ومناهج الإساءة التي اتبعها الأتراك في مخاطبة الأمة العربية، هذه الإساءات التي أصابت مقومات وجود الأمة العربية وكرامتها، كأمة تعتز بها الثورة، وتؤكد ميزاتها بين أمم الدولة العثمانية، فطرحتها وناقشتها من خلال إعلامها، بل وفي جميع أدبياتها، وملخصها أن العرب هم حملة رسالة الاسلام الناطقون بالضاد لغة القرآن، وبينت الثورة أن الشريف «أبو نمي» عندما سلم السلطان سليم مقاليد الحرمين الشريفين كان باختياره ورغبة منه في توحيد الجامعة الاسلامية[1]، وأن العرب: «بمقتضى أحكام دينهم لا يستنكفون من مؤاخاة كل من يعتنق دينهم ولو كان من غير جنسهم لقوله تعالى:﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[2] ولذلك لم يكن العرب ولا غيرهم ينكرون على آل عثمان ما هم فيه من المحافظة على الدين الإسلامي واحترامهم الأماكن المقدسة طيلة هذه المدة، وهذا من أخص واجبات الخلافة الإسلامية»[3]. حتى خرج الاتحاديون على الخليفة العثماني وبينوا للناس أن أمر الخلافة الآن خارج عن محوره، ومخالف للشريعة الإسلامية، وأن الشرع الشريف يأمر بالشورى ولا ينافي الدستور الحديث، وهذا بعكس الخلافة الحاضرة –أي حكم السلطان عبد الحميد – القائمة على أساس الحكم المطلق، المناقض لما كانت عليه خلافة الراشدين من اتباع خطة الشورى التي يحصل بها العدل بين أفراد الأمة والمساواة بين عناصرها.

ولما توصل الاتحاديون الى ما أرادوه وسعـــوا نطاق شباكهم لتقليص ظل

---

(١) القبلة ، العدد ٩ : ٢ .

(٢) الحجرات : ١٠.

(٣) القبلة ، العدد ٩ : ٢ .

سلطة الخلافة الإسلامية، وعلم الجميع أن الاتحاديين سرقوا حقوق الخليفة وخرجوا على الإسلام والمسلمين مستغلين، باسم الخلافة اتباع جميع أنواع النصب والاحتيال(١)، فكان لا بد من عودة الخلافة للعرب للحفاظ عليها، من منطلق أن العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة عن طريق جامعة دينية تحت لواء الخلافة.

وهذا الأمر يُسّهل -في رأي الثورة- عقد اتحاد اسلامي تضامني تعاوني ينظر في قواعد اتحاد الألمانيين، وكذلك الايطاليين، الذين ثاروا على الدولة المسيحية التي تحكمهم «فقد كانتا على دين واحد، وهو الدين المسيحي الكاثوليكي، وكلتاهما كان يخضع للبابا المعدود خليفة للمسيح عليه السلام، وكان الخروج عليه يعد كفرا وضلالا، الا أن شدة الظلم التي أخذت بأعناق الطليان من استبداد النمسا وعدم معاملتها لهم بمقتضى الإخاء الديني والشرع الانساني، جعلتهم لا يرون بدا من النهوض لجمع كلمتهم والمناضلة عن حقوقهم قبل أن تسبقهم الدول الاوروبية المعادية للنمسا فتستولي عليهم» (٢).

ولقد كان الاتجاه الفكري (الإسلامي- القومي) الذي طرح في القرن التاسع عشر، والاتجاه الفكري (الإسلامي-القومي) للثورة العربية الكبرى، ينبعان من منطلقات عقائدية واحدة، تتبلور في إعادة عزة العرب ومجدهم، وإعادة الخلافة للعرب من قريش، وحسم مسألة الخلط بين الوحدة الدينية الإسلامية، والوحدة القومية العربية، حيث تجعل من الأولى جامعة إسلامية، ومن الأخرى دولة سياسية (وهو تفريق قائم حتى

(١) القبلة ، العدد ٧ : ١ .

(٢) نفسه .

الآن حول السؤال : وحدة عربية أم وحدة إسلامية؟) وقد شرح ذلك محب الدين الخطيب - أحد رواد هذا الفكر المتأثر بفكر الكواكبي- في جريدة القبلة، وكان يشغل منصب رئاسة التحرير فيها، كما كانت هذه الاراء هي آراء وأفكار أعضاء الجمعيات العربية السياسية - السرية منها والعلنية - مثل جمعية العربية الفتاة، وأعضاء حزب اللامركزية، وحزب العهد. وتؤكد ظروف الثورة تقرب أعضاء هذه الجمعيات من الشريف حسين بن علي، كما تؤكد حقيقة تقارب والتقاء وجهة نظر الشريف وأعضاء هذه الجمعيات.[1]

وأكبر دليل على ذلك، أنه عندما بويع الشريف (الحسين بن علي) ملكا للعرب بتاريخ ٢ محرم سنة ١٣٣٤ قَبل ذلك، على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله، وفتح أبواب إعادة صناعة التاريخ أمام العرب على المستويين العربي والإسلامي بشكل طبيعي ، وأصبح من البديهي إعادة الخلافة الإسلامية للعرب من قريش -وهو مطلب مفكري القرن التاسع عشر- غير أن شريف مكة قَبِل المبايعة السياسية، بينما ترك أمر البيعة بالخلافة حتى تتضح الأمور بين العرب والمسلمين بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وحتى لا يقال : «ان نهضة ساكني الحجاز في البادية والحضر يقصد بها الخروج على الخلافة الإسلامية»[2] ورفض مفجر الثورة ومن التف حوله من أحرار العرب أن يعيدوا الدور الذي قام به الاتحاديون في مواجهة الخلافة، واكتفت الثورة بتأسيس الدولة العربية القومية تحت شعار «نحن عرب قبل عيسى وموسى ومحمد»،[3] وهكذا أوضحت الثورة أن فكرها السياسي يعي بشكل واضح الفرق بين الدائرتين:

---

(١) القبلة ، العدد ٩ : ٢ .

(٢) راجع الدكتورة سهيلة الريماوي ، الحياة الحزبية في سوريا من ١٩٠٨ - ١٩٢٠م .

(٣) القبلة ، العدد الصادر بتاريخ ٢ ربيع الاول سنة ١٣٣٦ هـ : ٢ .

– الدائرة العربية : ومنطقها منطق الوحدة القومية السياسية .

– الدائرة الإسلامية : ومنطقها منطق الجامعة الدينية الإسلامية.

ولم تهمل الثورة قضية الخلافة الاسلامية، بل أرجأتها الى ما بعد نهاية الحرب كما أشرت، ولكن المتتبع للاتجاه الفكري الإسلامي، الذي وضحته الثورة في جريدة القبلة، يلمس مشروع وضع دستور للخلافة أو الجامعة الدينية الإسلامية، نشرت مواده في أعداد القبلة من حين لآخر ويمكن أن نبلور هذه المواد في النقاط التالية:

١– إقامة خليفة عربي قرشي، مستجمع للشرائط في مكة وذلك بعد نهاية الحرب.

٢– ترتبط بيعة الخلافة بشرائط مخصوصة ملائمة للشرع بناء على أنه اذا تعدى الخليفة شرطا منها ترتفع بيعته.

٣– انتخاب الخليفة يكون منوطا بهيئة الشورى العامة، ويبلغ الخليفة قرارات الشورى ويراقب تنفيذها.

٤– إن الخليفة لا يتدخل في شيء من الشؤون السياسية والإدارية.

٥– يُصدّق الخليفة على تولية الحكام والمسؤولين التي تجري احتراما للشرع على حسب أصولهم القديمة »(١).

ولا بد لنا من القول، إن وضع هذه المقترحات المستقبلية حول الخلافـــة

(١) هذه البنود لا توجد في مكان واحد من جريدة القبلة، بل في مواضع متفرقة منها ، وقد بلورتها على الشكل المذكور.

يُشير بصورة واضحة الى فصل الدولة الدينية عن الدولة السياسية، وبالتالي تحول الدولة الدينية الى جامعة دينية يكون الخليفة فيها رمزا للرابط الديني، ورئيسا منتخبا لهيئة شورى تنحصر مهامها في أمهات المسائل الدينية، وهذا ما دعا اليه مفكرو القرن التاسع عشر، وعلى هذا الأساس بايع العرب شريف مكة بتاريخ (٢ محرم سنة ١٣٣٤هـ) ملكا للعرب(*) بعد أن رأوا في ذلك صلاح دينهم ودنياهم، «وأما الخلافة الإسلامية، فمع ما هو معلوم من انحلالها في ذلك الوقت، لم يحرك العرب في أمرها ساكنا، ريثما يقر قرار العالم الاسلامي على أمر يجمعون عليه في شأنها»(١).

الاتجاه الفكري التوفيقي بين الدائرتين : الإسلامية والقومية :

تعود منابع هذا الاتجاه الى المفكرين الرواد في القرن التاسع عشر ممثلة في فكر الكواكبي ورشيد رضا وغيرهما، وعندما دعا السلطان عبدالحميد الى الجامعة الإسلامية أيد هؤلاء فكرة قيام الجامعة، ونحن لا نرى أي تناقض في هذا التأييد لأن المفكرين الذين ينبع تفكيرهم من قاعدة دينية ومنطلق إسلامي شامل، مثل محمد عبده والأفغاني والتونسي وابن الضياف وغيرهم، والمفكرين الذين ينبع تفكيرهم من قاعدة دينية وانطلاق قومي مثل الكواكبي والنديم ورشيد رضا وغيرهم، فإننا نجدهم يؤكدون جميعا حقيقة التفاعل بين الأساس الديني والمنطلق القومي، فالدين الإسلامي يعطي العرب مكانة خاصة بين المسلمين بسبب نزول القرآن في أرضهم وبلغتهم ولأنهم

(*) لقد احتج الانجليز على تسمية شريف مكة ملكا على العرب، وكان هذا أول خلاف بين العرب والانجليز.

(١) القبلة ، العدد ٢٧ : ٢ .

حملوا أمانة نشر الدين والدفاع عنه، وإن المنبع التشريعي الرئيسي لهؤلاء المصلحين كان الدين الإسلامي وتشريعه، ويؤكد لنا هذا الاتجاه الفكري أن لا تناقض بين العروبة والإسلام، وقد أظهرت الثورة العربية الكبرى هذا الاتجاه الفكري بصورة جلية، وطرحته على صفحات جريدة القبلة لتبين بوضوح أن العلاقة وطيدة بينهما، فبالإسلام كان دور العرب في التاريخ، وبالعرب كان عز الإسلام، وإن النهضة العربية اليوم نهضة وطنية قومية وعربية[1].

ويبرز هذا الاتجاه بشكل واضح من خلال المناشير التي أصدرها الشريف حسين بن علي مفجر الثورة ، ففي المنشور الأول اشارة واضحة الى أن قتل اللغة العربية ومنع التدريس بها في المدارس هو قتل للإسلام نفسه، وأن أفضل دول الاسلام هي دول اسلافنا العربية، وأن الخلافة في الأصل عربية، وأن قوة الإسلام وامتداد هذه القوة لا يتم الا من خلال بقاء العرب أقوياء، وهكذا تربط الثورة بين عز العرب وعز الإسلام، فغاية الثورة أن يعود عز العرب للعرب، وترجع سلامة الدين للمسلمين[2].

وتؤكد الثورة أنه «إذا رغب المسلمون في بقاء جامعتهم، وحياة أمتهم، ورفع كلمتهم وحماية شريعتهم وحفظ وجودهم وصيانة حقوقهم، وأن يقام لهم وزن بين الأمم وتقوم لهم ومنهم دولة مهابة عزيزة بين الدول، وأن يحافظوا على الوديعة التي أودعت لديهم، والأمانة التي بعد أن عرضت على السماء والأرض فأبين أن يحملنها، عُرضت عليهم، وهي وديعة التوحيد

---

(١) القبلة ، العدد ٢٠ : ٢ .

(٢) القبلة ، العدد ٦ : ١ .

وأمانة الإيمان بالعلي المجيد، وأن يتمموا ما بدأوا به من إصلاح البشر إصلاحا يجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة وسعادتي الروح والجسم ، اذا أرادوا هذا ورغبوا في ذلك، فالواجب على عامتهم وخاصتهم وقريبهم وبعيدهم، عربيهم وعجميهم أن يقوموا بإحياء البلاد العربية بكل وسائل الحياة، وتقوية الأمة العربية بجميع أنواع القوى»(١) .

ولذلك انضوى تحت لواء الثورة كل عربي مسلم «ومن ذا الذي يمنعهم؟» فإن العاملين في الحركة العربية عرب يخدمون العرب، ومسلمون يسعون للعودة الى الشريعة(٢)، وتوجه الثورة نداء حارا الى العرب والمسلمين «انصروا دينكم وجنسكم، والتفوا حول الراية العربية المنصوبة في الحجاز، حتى اذا وضعت الحرب أوزارها كنتم ركن الدنيا وعضد الدين كما كان أسلافكم في العالمين» (٣)، وبذلك يعيد العرب للأذهان ذكرى الأجداد، في شد أواصر الإخاء العربي. وتؤكد الثورة أن هذا الدين الحنيف لم يفرق بين المسلم وغيره الا في أمور خاصة، لا تأثير لها على الجامعة العربية في شيء(٤).

وهكذا انضوت الجموع الغفيرة تحت راية هذه النهضة المباركة التي قامت لنصرة الدين ورفع منار الهدى واليقين، «وكان لها رنة سرور في قلب كل مؤمن ومسلم» إذ تخطت العنصرية والشعوبية بينما شردت العنصرية التركية المعارضين من الترك قبل العرب، ونصبت لهم المشانق

---

(١) القبلة ، العدد ٤ : ١ .
(٢) القبلة ، العدد ٦ : ١ .
(٣) القبلة ، العدد ٩ : ١ .
(٤) القبلة ، العدد ٣٧ : ٢ .

في الآستانة، وفي كل مدينة، وعزلت الموظفين، وأبعدت الضباط وحصرت كل شيء بأيدي أتباعها وجعلت الدولة دولة الاتحاديين لا دولة العثمانيين. وتصر الثورة على إظهار عنصرية الدولة العثمانية بقولها: «تجاهل الاتحاديون أن الأمة العثمانية مؤلفة من عناصر متعددة ذوات تاريخ ومدنيات عريقة في القدم، وقدمت رقاب المسلمين المعارضين، من عرب وترك، وأرمن وسواهم، الى الموت، فكانوا في كل أطوارهم دعاة موت»، ومن لم يمت على أيديهم دفعوا به الى الموت في الحرب بأيد أجنبية، فكان حقا على الأمير العربي الإسلامي شريف مكة بعد هذا كله أن يقول : «أما أنا فأريد لأمتي الحياة، وأريد نصرة الإسلام»[١] وتبين الثورة أن هذا التوافق العربي الاسلامي لم يكن وليد الساعة، وانه يمتد عبر التاريخ، وأن الله سبحانه وتعالى باركه، وأنزل الدين الاسلامي على العرب وعلى النبي العربي، وفي الأرض العربية وباللغة العربية لتصل – هذه الثورة – الى نتيجة هي أن كل دولة تنشأ في أي بقعة من بقاع الأرض وفي أي زمن من الأزمان، اذا لم يكن العرب «بناة أساسها وأركان بنائها وعمد صروحها، فهي دولة لا تدوم»[٢]، ووجهت نداءها قائلة: «ولقد حان للمسلمين أن ينفصلوا عن يهود سالونيك وأذناب الروللي وعبيد الألمان، لينقذوا أنفسهم من الربا الذي حرمه الله وحلله الاتحاديون»[٣] وتستشهد الثورة بالتاريخ الذي عرف فئات تظاهرت بالإسلام للقضاء عليه، وأن كثيرا من الأعاجم تصدوا لسلوك هذه السبيل الوعرة، فلم يجدوا وسيلة لتغيير شأن الاسلام أقرب لهم من الضرب على نغمة تصغير شأن العـــرب ولغتهم، لأن

---

(١) القبلة ، العدد ٢ : ٤.

(٢) القبلة ، العدد ٩ : ٢ .

(٣) القبلة ، العدد ، ١٠ : ١.

النبي صلى الله عليه وسلم عربي والقرآن الكريم عربي، والعلوم الاسلامية عربية، والمدنية الإسلامية عربية، وهم لّما خافوا أن يسبوا الاسلام، استعاضوا عن ذلك بسبّ العرب . وهذا الفريق من الأعاجم يسمونه في كتب التاريخ والأدب باسم «الشعوبية».

وتقارن الثورة بين الاتحاديين والشعوبيين لتصل الى النتيجة التالية: «الاتحاديون من هؤلاء الكفار الذين يحاربون الاسلام بمحاربتهم للعرب»[1] فقد قال عبيد الله في جامع أيا صوفيا للأتراك: «لا تتعلموا لغة القرآن، بل يكفي أن تترجموا كتاب الله للتركية، وأن تسمعوا خطبة الجمعة بالتركية»[2].

لقد تخطت الثورة العربية الكبرى في أفكارها الشعوبية، وبينت عيوبها وغاياتها، كما تخطت العنصرية التي نادى بها الاتحاديون الذين ظنّوا بعد أن تغلبوا على السلطان عبد الحميد أنهم بما بلغوه من القوة يقدرون على إرغام المعارضين وبث فكرتهم العنصرية في المدارس والمنتديات، واستبدال الرابطة العنصرية بالجامعة العثمانية، فاخترع كتابهم وشعراؤهم وموظفوهم أناشيد عنصرية تذكّر بطوران الجميلة وأبطالها القدماء[3]، وانعكست هذه العنصرية وظهر رد الفعل عند الجنود: «اذ لم يجد الجندي في زوايا نفسه تلك القوة الكامنة التي كانت تدفع به الى خوض غمرات القتال، فرّ ذليلا مذعورا وأصبح، لا هو بالأوروبي ولا بالمسلم». وهكذا هزمت الدولة في الحروب المتتالية، التي نشبت بينها وبين غيرها من الأمم، وصدعت بنيان الدولة وخسرت البلقان، وليبيا وغيرها،[3] فكان لا بد لهذه الأمة أن تثور على

---

(١) القبلة ، العدد ٤ : ٤ .

(٢) القبلة ، العدد ٦ : ١–٢ .

(٣) القبلة ، العدد ١٢ : ١ .

هؤلاء المرتدين بقيادة هذا الشيخ الجليل الذي طبق بعدله الآفاق حتى لقب بالفاروق الثاني، وقد أعاد التاريخ نفسه، عندما دافع هذا الملك العظيم عن الدين محاسبا على ضياع البلاد وقتل العباد مقتديا بأول خليفة في الإسلام، أبي بكر الصديق، حينما قاتل المرتدين وثبّت بقتالهم الدين، ثم نهض بالعرب فرفع شأنهم تجاه الأمم بعد أن كان العربي مقهورا في بلاده صغيرا في أوطانه[1].

وبعد أن بينت الثورة أن مقتضيات الدين والقومية والانسانية حتمت مجيئها كما ورد في منشورها الثالث،[2] توصلت الى نتيجة فكرية طرحتها على صفحات القبلة ملخصها: أن الأمم خالدة بخلود النوع الانساني، لأن الإنسان خليفة الله في الأرض، وعليه تقع تبعة الحفاظ على النوع الانساني والمجتمع بشكل عام، وأن الله قد سخر للانسان ما بين الأرض والسماء وما تحت الثرى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[3]، وهذه دعوة للعمل في مواجهة رفض صريح للتذلل والخضوع، ورفض الواقع المرير الذي وصلت الأمة اليه، وتوجد استشهادات كثيرة أوردتها القبلة تدور حول هذا المعنى تضمنها هذا البحث.

وأشارت الثورة، بل أكدت، أنها تنادي بالجهاد لخدمة الجامعة الإسلامية من جهة، ولخدمة الجامعة الإنسانية من جهة أخرى، وأن القومية التي تطرحها كأحد ركائزها الفكرية، هي قومية إنسانية – أي أنها ليست قومية

(١) القبلة ، العدد ٢٤ : ١ .

(٢) القبلة ، العدد ٣١ .

(٣) التوبة : ١٠٥.

عنصرية متصلبة – إنما هي قومية تتناسب مع المنطلق الديني الإسلامي للثورة، ونتأكد من ذلك عندما نعي أن الثورة ترى بهذا المفهوم أن الدين ضرورة إنسانية اجتماعية تاريخية شديدة الصلة بطبيعة الإنسان من حيث كونها طبيعة تتنازعها نوازع الخير والشر في وقت واحد، فيكون الدين بعامة، والدين الإسلامي بخاصة، ضرورة تحمي نوازع الخير وترجحها على نوازع الشر في الإنسان: «لأن نوازع الشر في الإنسان لا يلطفها الا معرفة الله والإيمان به».(١)

في حين خرج الاتحاديون عن الدين، لأن الدين يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن الظلم والبغي، وعندما أعلنوا الجهاد، لم يتحرك لقولهم أحد، بل قابلهم المسلمون ولسان حالهم يقول: ارجعوا أيها الاتحاديون الى جبال أورال واطلبوا النصر من «القوم الجديد» الذي أردتم بعثه، فإن الاسلام ليبرأ منكم.

---

(١) القبلة ، العدد ١٢ : ١ .

الخـــاتمـــة

إن مرحلة الثورة العربية الكبرى هي المرحلة التي شهدت أول تغيير «ثوري» جذري في تاريخ النضال العربي ضد الدولة العثمانية، وقد انبثق هذا التغيير من قلب العالمين -العربي والإسلامي - من الحجاز ملتقى المسلمين، وكانت «مكة العربية»(١) قد فتحت آفاقها أمام المسلمين، وأمام القوى التحررية العاملة على نطاق الوطن العربي بعامة، ومشرقه بخاصة.

وكان لا بد لنداءات الثورة وتياراتها الفكرية من أن تنفذ الى الدول الإسلامية الأخرى والى المهجر، لتحقق للنضال العربي -ولأول مرة في تاريخه الحديث- مستوى جديدا ومجيدا في قومية نطاقه، (قومية الهدف، وقومية الهوية، وقومية الجيش وقومية القيادة).

إذ تحددت وحدة الهدف العربي في أساسه ومضمونه، ولم تقف ارادة التغير للوصول الى الهدف عند القشور والمظاهر والشعارات والاصلاحات الهامشية، ولم تقف الثورة خائفة أو مترددة أو سطحية، بل أخذت تضرب بوعي الثوار وعزيمة الثورة في جميع الأسس المادية والفكرية والنفسية التي قامت بين ظهراني الأمة العربية، وليدة عهود طويلة ومظلمة عاشتها جماهير هذه الأمة، وبلغت ذروتها في عهد الاتحاديين الذين حاولوا تتريك الدولة، واتّباعهم مناهج متعددة تسيء للأمة العربية وتصيب مقومات وجودها وكرامتها، كأمة يعتز بها أحرار العرب الذين استطاعوا أن يؤكدوا تمييز أمتهم بين أمم الامبراطورية العثمانية، تمييزا ينبع من خصال هذه الأمة ومن أن

---

(١) القبلة ، العدد ١٦ : ١ .

العرب هم حملة رسالة الإسلام الناطقين بالضاد، لغة القرآن، وكانت ثورتهم تحديا صارخا للدولة العثمانية خاصة عندما طالبوا بإقامة دولة العرب الموحدة في المشرق، وما رسمته الثورة من توزيع السلطة والصلاحيات في داخل هذه الدولة العربية ووضع البرامج الاقتصادية والثقافية العسكرية التي تسير عليها الدولة .

أما التحدي الآخر، فكان عندما طالبوا بأن تكون الخلافة لقرشي عربي، وتبين الثورة أنه: «من أعظم أنواع الخطأ الظن بأن القيام على هذه الفئة هو من قبل القيام على خليفة شرعي مستوف شروط الخلافة، فليس منا من لا يعرف أحكام الشريعة» وقد طالب رجال الثورة أن يكون الحكم الفصل بينهم وبين من يخالفهم الرأي حول هذا الموضوع «الكتب الشرعية، وما استفاضت به كتب المذاهب الفقهية والكلامية من مبحث الخلافة وشروطها، والإمامة وأحكامها»[1]، فاكتسب هذا المنطق الثوري الجديد جماهير هائلة، على مستوى الوطن العربي والعالم الإسلامي، واستطاعت الثورة – بإيمان الثوار– أن تمزق جميع هالات القدسية التي نسجتها الدولة العثمانية حول الاسلام الرسمي للدولة العثمانية، فتجاوب مع الثورة شباب البوسنة والهرسك حيث أعربوا عن رضاهم بالإجماع عن عمل الشريف حسين أمير مكة المكرمة وأيدوا قيامه على «جون ترك» الذين سببوا خراب البلاد الإسلامية وهلاك أهلها ، قائلين: «فلا يسعنا الا الهتاف للأمة العربية التي نهضت للدفاع عن حرمة الدين القويم، ولإغاثة المسلمين وتأكيد مبادىء

(١) القبلة ، العدد : ٢ .

حرية الأديان والشعوب»(١)، كما استقبل مسلمو الهند قاطبة خبر نهضة جلالة شريف مكة بالمسرة والحبور»(٢)، وانهم يرفعون تمنياتهم المبروكة أن ينتصر على الأعداء، كما أنكر علماء الهند وأساتذتها تتريك القرآن حسب الطريقة التي اتبعها الاتحاديون وذكرتها خلال البحث(٣).

كما جسمت الثورة من خلال إعلامها وأدبياتها محاولة الاتحاديين تحطيم الشخصية الحضارية القوميةللأمة العربية، بأقسى الأشكال، لهدر كرامة إنسانية الإنسان، وأن الأمة العربية قد آمنت بأن الثورة أو النهضة هي السبيل الوحيد الذي لا سبيل سواه لانتقال الأمة العربية مما هي فيه بالواقع الى ما تريده قواها الاجتماعية المتحررة بالأمل لتؤكد الحقيقتين التاليتين:

١- حقيقة الوجود القومي للأمة العربية: كأمة واحدة ذات قومية واحدة .

٢- حقيقة امكانيات هذه الأمة وطاقاتها الحضارية التقدمية الإسلامية.

وكان من أهم آثار الثورة العربية الكبرى، تأكيد البعد الحضاري الإنساني لهذه المنطقة العربية بأكملها، فقد تمسكت بالتراث والأصالة الحضارية، في مواجهة التحديات الصهيونية والإمبريالية الهادفة الى طمس الحضارة العربية والاسلامية، وصمدت المنطقة في مواجهة هذه التحديات.

وحقا إن الثورة العربية الكبرى لم تقدم نظرية عربية تدور حول القومية لعربية ومفاهيمها ولم تقدم لنا نظرية اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية لما تكون عليه الدولة المستقبلية للأمة العربية، ولكنها حاولت «التنظير» قدر المستطاع،

(١) راجع منشور شباب البوسنة والهرسك في القبلة: العدد ١٦ : ٣ .

(٢) القبلة ، العدد : ٧ : ٣ المقال بعنوان : تأثير نهضة الحجاز في الهند.

(٣) راجع ما كتبه الاستاذ عبد الحق الأعظمي أحد أساتذة الكلية الاسلامية في عليكرة في القبلة ، العدد ٦

المستطاع، وأوضحت الطريق أمام المسيرة العربية عندما ارتفعت بالأمل العربي الجماهيري التحرري الى مستوى التحقيق الواقعي، والتطبيق العملي، فقد ارتقى ذلك الأمل وهذه الشعارات والاماني الى صيغة الهدف الحركي في وجه جميع المصالح والقوى والمفاهيم التي نشرها الاتحاديون منذ انقلابهم سنة ١٩٠٨م، فتخطت العنصرية والشعوبية، وقضت على التعددية، وقامت ثورة واحدة، لتحقيق أهداف العرب بقيادة موحدة، لجيش تحرير عربي موحد. وهكذا استطاعت بوحدة الثورة ووحدة الهدف والهوية، وعزيمة الثوار وإيمانهم أن تكون «نهضة العرب» أو ثورة العرب الكبرى.

ويبقى أمل بناء الدولة العربية المستقلة الكبرى قائما، وهو محور الصراع بين أبناء الامة العربية والإمبريالية والصهيونية حتى يومنا هذا .

العدد ٥

وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه

السنة الاولى

الرسائل

ترسل خالصة الاجرة
باسم مدير الجريدة المسؤول
محب الدين الخطيب
في المطبعة الاميرية بحارة جياد

القبلة

جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين في الاسبوع
لخدمة الاسلام والعرب

قيمة الاشتراك
ريال مجيدي ونصف في الحجاز
وعشرة فرنكات في سائر الاقطار
وثمن النسخة ربع قرش

الاعلانات يتفق عليها مع ادارة الجريدة
العنوان التلغرافي (القبلة).

مكة المكرمة

يوم الاثنين ٢٩ شوال سنة ١٣٣٤

حول
النصر المبين

ايمانيين قحطان وسلالة عدنان وحماة جار وذادة الحمى - ان المجد الباذخ، والشرف الشامخ والهمة الشماء، والعزة القعساء، للاحت لبني هاشم رهط النبي الاعظم، صلى الله عليه وسلم وهل غيرهم هجر الراحة ونبذ الدعة، واقبل على مكافحة الخطوب ومقارعة النوائب، لجمع كلمة العرب وتوطيد اركانهم، ورفع منارهم.

اللهم نعم - فان اولئك الامراء الذين نشأوا في كنف النبطة وبين اعطاف النعيم، وكانت صدورهم مطمئنة، وقلوبهم وادعة، قد انجدوا وأغاروا وانتضوا كأهل البلاد، فذاقوا المشقة ارملة بهم بانواعهم وابدانهم ولم يألوا جهداً في ايثار قومهم على انفسهم، وتحمل الاعباء الفادحة دونهم. ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير. وكأني بهم يحيي الاعلام والجحافل ينشدون مع الشاعر العربي القائل:

ساطلب حقي بالقنا ومشايخ
كأنهم من طول ما التثموا مرد
ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا
قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا

اذا شئت حفتني على كل سابح
رجال كأن الموت في فمهم شهد

واني وايم الله ماذكرتهم الا شكرتهم واحسست بالسرور يتناجى من اعماق نفسي، واخناء ضلوعي واني لاطل مشرق الجبين، دائم الدهر، طلق المحيا ما دام ذكرهم في حي، وحديثهم في مسمعي. وليت شعري الي عربي، ماسح العرق في نسبه، صريح النجار في حسبه، ولا تستفزه نشوة السرور، وتأخذه اريحية الحبور، كلما مر بسمعه. ودار على لسانه ذكر الامراء الكرام. والابطال المناوير + علي وعبدالله وفيصل وزيد الذين اشتروا الثناء بالرخاء، ورضوا بالشظف بعد الرغد، من اجل ذلك المقصد الاسنى والغاية العظمى، الا وهي خدمة العرب اجمعين، واحياء معالم السنة والدين.

أجل ان كل عربي لادخل فيه. ولاغبار عليه ليلهم يمدح. ولايأم يعيب. وما اجدرهم أن يقولوا لكل خاصم، ما قال خالد بن صفوان بلسان بني هاشم - منا نبي الله المصطفى، وخليفة الله المرتضى، ولنا السؤدد والعلى، وفينا العلم والحجى. ولنا البيت المعمور والمشعر المشهور، وزمزم وبطحاؤها وجبالها وصحراؤها. نا عرف الدين، ومن عندنا أتي اليقين. فمن زاحمنا زحمناه، ومن عادانا اصطلمناه

ومن بدل سنتنا قتلناه

مهلا يابني العرب فان تلك المعركة الاخيرة التي دارت رحاها حول المدينة المنورة، لأوضح برهان واسطع دليل على فضل اخوانكم الاحرار، وقائدهم المغوار، صاحب السمو الامير فيصل اعزه الله فان الاتراك خرجوا من مكامنهم وقد اعمتهم كثرتهم وما لديهم من الاقوات الوفيرة: والذخائر الكثيرة والمدافع الضخمة، والبنادق الحديثة التي يقطر الموت من خلالها ويجول الحتوف في أثنائها. ومعهم الضباط من الاتراك والالمان وكلهم قد تمرس بالحرب، ونشأ عليها في المدارس العديدة وأفنى العمر في تلقي اصولها وفنونها، من صبرة الاساتذة والطلاب المعلمين - كذلك كانوا وكذلك مشوا الى ساحة القتال وميدان الوغى لمقاتلة قوم لا يملكون من العدة الا اقلها، ومن الاسلحة الا أزرها، ومن الانظمة الا اضعفها وليس بينهم قادة تعلموا في المدارس الحربية، ورمن مروا في معاهدها، ولكنهم فئة قليلة، وتقر معبدود فلما التقت الجموع بالجموع، وتلاحمت الصفوف بالصفوف هجم الترك واعوانهم من الالمان، على عمرا ذم اولئك العربان، وهم يظنونهم لقمة سائغة وغنيمة باردة - فاذا هم الا الى مشعر القتال واخذت رقابهم سيوف العرب حتى تداعوا كالبنيان المتهدم وحاولوا الهزيمة والفرار، فضيقت بهم السبل وحزبت عليهم المهارب فوقع الجيوش التركي بأسره من ضباط وجنود ولبضعة في قبضة الامير فيصل وفي ساحة

الابطال وعاد العرب يحملون لواء النصر، ويجرون اذيال الفخر، على نعمة مولاها، ونصرة احرزوها لا باستعمال القذائف والنيران. بل بقوة الاسلام والايمان اللهم انت نعم المولى، ونعم النصير فلقد اظهرت للملأ قاطبة ان العرب الذين باركت فيهم وفي نسلهم الى يوم القيامة لا يزالون الابناء الصيد. لاولئك الآباء الصناديد. فان العدو الذي ظن بهم الظنون وتربص بهم ريب المنون. لانه اشد عضداً واكثر عدداً قد وقع ذليلا مدحوراً، وقعد ملوماً محسوراً لان ثقته كانت بالسيف. وثقة العرب كانت بالله وهيهات

فشل راجيه. او خيب داعيه. وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله.

لقد كان النبي العربي صلى الله عليه وسلم في معركة بدر الكبرى يرقب العدو الذي نفسه المجد بخيله ورجله فيقول: شاهت الوجوه ثم ينظر الى صحابته القليلين، ويرفع يديه الكريمتين الى السماء ويقول: اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد... ولسنا نقول للعدو الذي حاول محو الحق وطمس الدين - وقد غره ما لديه من ادوات الدمار وآلات الخراب - الا ما قيل لمثله ممن حارب الله ورسوله لاننا نحن العرب انما ندافع عن الدين الحنيف والشريعة السمحاء، وعن شعبنا العربي المظلوم: حتى يشهد التاريخ وتعترف الامم بان الحق يعلو ولا يعلى عليه واننا نعم الخلف لذلك السلف، وان النصر بيد الله يؤتيه من يشاء.

فيا ايتها القبور المكتظة بالقتلى والمشنوقين من العرب السوريين والعراقيين - مهلا رويداً فقد تنفس الصبح وهبت نسمة الفرج وحان لسكانك الشهداء، وسرحاء الارياء، ان يقروا في مضاجعهم ويستريحوا في مهاجعهم، فان سيوف اخوانهم من وراء الظالمين، وسوف ينالون الجزاء، ولو بعد حين، وشتان بين الحق والباطل وان الله يمهل ولا يهمل ويا بلاد الحجاز المقدسة، ويا سهول العراق المنبسطة، ويا جبال الشام الشاهقة، فلتشهد كل تربة من ارضك وكل ذرة من رمالك وكل حصاة من جبالك، انتم ابطال الخلوص، وحماة

الصادقون. وان سبيلنا الدفاع عن ذماركم. والذود عن كيانك. ولو مشى بعضنا على اشلاء بعض وغصت بجماجمنا بطاح الارض:

انفسنا باطراف الرماح واننا
لنحن علوها ونحن سقاتها
لنا وعلينا ان نبيتها هنية
قطاف رؤوس اينعت ثمراتها
هم استلذعوا رقش الافاعي ونهوا
عقارب ليل نائمات حماتها

فؤاد

التعاون التجاري
في قريش

اصبح من المعلوم عند الخاص والعام أن من أهم أسباب الرفاهة تجارة العالم في هذا العصر ومن أكبر البواعث على تأسيس المعامل الصناعية الضخمة والاستفادة من المخترعات العجيبة اتحاد أصحاب الاموال على فكرة التعاون التجاري وضم رؤوس الاموال بعضها الى بعض ليتمكن التجار بمجموعهم من القيام بالاعمال الكبرى التي لا يمكنهم القيام بها وهم متفردون. فاسسوا من رؤوس أموال صغيرة رؤوس اموال كبيرة وأوجدوا بطرقها والتوكل في انجاحها وانتاجها نقابات مؤقتة من أكفأ رجال الاطلاع يعرفون أماكن النقص فيها فيكملونها ومواضع الضعف منها فيقوونها

ومما يرشدنا اليه التاريخ أن قريشاً كانت من أقدم الامم اتباعاً لطريقة هذا التعاون فكانت في ايلافها رحلة الشتاء والصيف تقوي تجارتها وتنمي ارباحها وكسبها بواسطة التعاون. وما أجدرنا اليوم أن نقتفي آثارهم وننظر لما وصلت اليه قواعد هذا التعاون من الكمال والاتقان والتأثير في ارتقاء الصناعة والزراعة والتجارة فنأخذ من ذلك أحسنه. قال عبدالرحمن الرافعي مؤلف كتاب (نقابات التعاون الزراعية): "انما يأخذنا اسباب التعاون نحن سنة قديمة". فان نظام التعاون وان كان بشكله الحديث نظاماً غريباً جديداً الا ان الفكرة التعاونية في ذاتها - أي فكرة التعاون الاجتماعي القائمة على القيام بالعمل المشترك واقتسام أرباحه وثمرته فكرة قديمة عرفها أجدادنا العرب. فقد أثبت الاستاذ (روابولي) في كتابه (الطوائف والاقتصاد السياسي): (ان القوافل التي كانت تجوب البلاد العربية ما بين الحجاز والشام يقضي التاجر والراعي الا جماعات تعاونية وكانت يتعاون أفرادها على الكسب والتجارة))

فلينظر القارئ كيف كان أجدادنا يتعاونون في ميدان التجارة الم كان نظام التعاون معروفا في الشام وليتذكر في مقدار احتياجنا اليه بعد أن اتخذته كل الامم سلاحاً لما تقوى به وثرتها ونكفي ساعدها وسلاحها ولتستنزيل جهات الاجنبية

ثبت المصادر والمراجع

المصادر الأولية :

- جريدة القبلة ، الأعداد الصادرة في المدة الواقعة بين (الاثنين ١٥ شوال ١٣٣٤هـ الموافق ١٥ آب ١٩١٦م إلى ٧ ربيع الأول ١٣٤٣هـ الموافق ٢٥ أيلول ١٩٢٤م) وكان صدر منها ٨٢٣ عدداً، وهي محفوظة في دوريات الجامعة الأردنية، ومصورّة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة (ميكروفيلم).

الكتب المخطوطة :

- الدكتورة سهيلة الريماوي، الحياة الحزبية في سوريا من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩٢٠م، (ر.ج) القاهرة، جامعة عين شمس، سنة ١٩٦٩م (مخطوطة).
- محب الدين الخطيب ، الجيل الذي عاصر بعث العروبة (مخطوط).
- محب الدين الخطيب ، المذكرات : سيرة جيل ، (مخطوط).

المراجـع :

- الدكتور أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث، بيروت، دار النهضة، ١٩٧٠م.
- الدكتور أحمد قدري، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، دمشق، مطبعة ابن زيدون، ١٩٥٦م.
- أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (د.ت).

- حقي العظم، حقائق عن الانتخابات النيابية في العراق وسوريا، القاهرة، ١٩١٢م.
- الدكتورة سهيلة الريماوي، جمعية العربية الفتاة السرية، دراسة وثائقية، عمان، دار مجدلاوي ١٩٨٨م.
- الدكتورة سهيلة الريماوي ، التجربة الفيصلية في بلاد الشام، وزارة الشباب ١٩٨٨م.
- الدكتور عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية والوعي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤م.
- الدكتور عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون منذ سنة ١٥١٦ - ١٩١٦م، دمشق، (د.ن)، ١٩٧٤م .
- الدكتور عبد الكريم ، تاريخ العرب الحديث، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.
- عبد الله بن الحسين ، المذكرات ، القدس ، المطبعة التجارية، ١٩٥١م.
- الدكتور علي محافظة، الاتجاهات الفكرية في عصر النهضة في فلسطين والأردن، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.
- الدكتور محمد بديع شريف، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، بيروت، دار اقرأ، ١٩٨٤م.

الدوريات والصحف :

- دراسات تاريخية، مجلة دورية تصدر عن جامعة دمشق، العددان: ٢٣، ٢٤ (أيلول ١٩٨٥م، كانون الثاني ١٩٨٦م).
- المؤيد، جريدة، العدد الصادر بتاريخ ٢ آب ١٩٠٩م.

فهرس المحتويـــات

منشورات

لجنة تاريخ الأردن

رقم (١٨)

جمادى الأولى ١٤١٣ هـ

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٢ م

لجنة تاريخ الأردن

بواسطة

المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية

(مؤسسة آل البيت)

العنوان البريدي : ص. ب (٩٥٠٣٦١) عمّان - الاردن

العنوان البرقي : آل البيت - عمّان

التلكس: 22363 Albait Jo, Amman - Jordan

الفاكس : ٨٢٦٤٧١

الهاتف : ٨١٥٤٧١ - ٨١٥٤٧٤

رقم الايداع لدى المكتبة الوطنية
(١٩٩٢/١١/٨٠٦)

المطابع التعاونية - عمان